التعليم الكنسي الارثوذكسي

تقديم بقلم :
الأرشيدياكون رمسيس نجيب

التعليم الأرثوذكسي ، السياج الذي يقود بالضرورة إلى خبرة الروحانية الأرثوذكسية ، هو الهدف الواعي ، للرجوع إلى الكنيسة وينابيعها الأولى، نستقي منها تلك الخبرة الحية التي حفظت – ولا تزال – للإيمان المسيحي مكانه ومكانته ...

ظل فكر الآباء لسنوات طويلة ، حبيس الكتب ، وقد لمسنا في السنين القليلة الماضية ، هذا الفكر وقد انساب ، حنينا للرجوع إلى خبرة الآباء ، بلوغا إلى حياة وخبرة أرثوذكسية تزرع الإنسان عضوا حيا في جسد المسيح ، يحيا في شركة الثالوث القدوس ، وهذا يؤهله بالضرورة أن يكون خادماً وعضواً عاملاً ، ومتآزرا مع بقية الأعضاء .. وما أحوج إنسان هذا العصر ، إلى الخبرة الأرثوذكسية وقد بدأ عليه الرجوع والانهاك ، قاده إلى ذلك مادية قاتلة وعقلانية جوفاء ، أفرغته من مضمونه ، إنسان هذا العصر، يحتاج بالضرورة إلى خبرة حية ، هي خبرة الآباء ، تقوده إلى ذهن مفتوح وفكر متجدد ، يتذوق حلاوة الانتصار وشبع الروح !.

وحينما سألوه عن : **من هو اللاهوتي؟** أجاب القديس كبريانوس وقال:

انه الشهيد ! ولقد تبدو الإجابة غريبة على العقل ، لكنها لن تكون هكذا أمام الخبرة الأرثوذكسية الحية ، فالشهيد هو الذي أدرك سر الصليب وتذوقه .. هذا السر الذي يعبر عن محبة الآب الصالبة ومحبة الابن المصلوبة ومحبة الروح القدس الظافرة في قوة الصليب .. انه الشهيد بحق الذي ذاق واقترب من الصليب ، حينما دخل من الباب السري الذي هو الجنب المطعون حيث سال دم وماء .. أو حيث انسكبت الكنيسة ، ماء يملأ جرن المعمودية ودما يملأ كأس المسيح .. هو أيضاً الشهيد الذي لم تنقطع قط محبته عن الفهم العميق – وهذا هو المكان الحقيقي للعقل – لعمل الثالوث.

القدوس في الفداء العظيم .. وهو أيضاً الشهيد الذي عرف المسيح عرفه في قوة قيامته وشركة الآمه متشبها بموته .. الشهيد الذي حينما اغتذي من المسيح ، أصبح له فكر المسيح ، الذي هو فكر ذبيحة ومحبة وفرح.

وليس اللاهوتي من ازدحم عقله بالمعرفة ، فليست معرفه المسيح مجرد نظريات ، ولكنها حياة في المسيح .. واقعها أن المحبة لا يجب أن تنفصل عن الفهم ..

ولقد ازدحمت عقول شبابنا الطيب من الجنسين بالمعرفة ، تحت وطأة تسرب الفكر واللاهوت الغربي وتسلطه عليهم ، **وحان الوقت الآن ليتقابلوا مع النهج الأرثوذكسي والذي في أصالته يقوم على الخبرة والتذوق والممارسة .. خبرة لا تغفل أو تقلل من شأن المعرفة ، فما من أحد من**

علماء الغرب بلغ إلى ما بلغ إليه قديسو الكنيسة العظام مثل أثناسيوس وأكليمندس .. لكنه منهج يركز أولاً على الدخول إلى حياة الكنيسة في شركة حية مع أعضاء الجسد الواحد .. منهج يؤكد أهمية التربية الليتورجية ، التي حينما يدخل إليها الإنسان ويعيش سرها ويتذوق قوتها .. يبلغ إلى شركة واتحاد حقيقي بينه وبين الله.

هذا المنهج الأرثوذكسي في أصالته هو سر قوة الكنيسة الأولي ، سر جيوش الشهداء المدافعين عن عقيدتها ، أن الذي دفع هؤلاء إلى حسن الشهادة ، ليست معلومات اكتزت بها عقولهم ، لكن كانت حياة الكنيسة التي سرت فيهم ..

كان سر المذبح وحلاوة وعمق الممارسة ، هي التي حولتهم إلى ذبائح بل إلى مذابح مقدسة تشهد بقوة وبجرأة بعظمة الساكن فيهم. حاجتنا اليوم أكثر ما تكون أن نعود إلى الينابيع الأولي ، نتلامس مع الخبرة الأرثوذكسية ونسلك دروبها ، بلوغا إلى حياة مثمرة شاهدة وأمينة !

وهكذا الكتاب الذي بين يديك أيها القارئ العزيز ، نافع جداً للخدام والشباب من الجنسين ، وخاصة الخدام منهم ، وموضوعه < **التعليم الأرثوذكسي** > ، وهو محاولة جادة وأمينة ، يقدمها الأيبوذياكون فوزي مرجان ، انطلاقاً من قناعته بحياة يحياها بها، هي حياة الكنيسة ، وانطلاقا أيضاً من خبرة عركها ولا يزال في خدمة الشباب وفصول إعداد الخدام – التي كرس حياته وتفرغ تماماً لها .. ولا تقتصر الدراسة فقط على إعطاء تصور شامل وكامل لسمات التعليم الأرثوذكسي ، بل تتضمن الدراسة يضاً نموذجاً عمليا لتحضير الدرس.

تجسد التعليم الأرثوذكسي ، يهتدي بهديها من يقوم بالخدمة ، في فصول التربية الكنسية ، بلوغا إلى خبرة أرثوذكسية تواجه تحديات العصر ، بقوة الروح ، والغلبة التي تشهد دوماً بعظمة الملك المسيح ..

مقدمة

الحديث عن < التعليم الكنسي الأرثوذكسي > حديث صعب بقدر ما هو مهم لعدة أسباب:

أولاً: عملية التعليم هي طريق النمو والبقاء لأي مجتمع خاصة إذا امتلك هذا المجتمع قوة الدفع الديناميكية لتحقيق هذا الهدف ، والمسيحية بصفة عامة تقوم على فعل الروح القدس في قلب المؤمن وفي الكنيسة فعل الروح الذي يدرك خفايا كل نفس فينقل لها المعرفة – معرفة الله كحياة وخبرة كما قال الكتاب – " **يكون الجميع متعلمين من الله** " (يو ٦: ٤٥).

ثانيا : من الذي له حق الحديث عن التعليم في الكنيسة وهو أمر يتعلق بحياة الكنيسة كلها ورسالتها نحو الأعضاء الحية فيها الذين يولدون داخلها وهم مدعوون للنمو يوما فيوما كأعضاء في جسد المسيح ، فالإنسان حين يكتب أو يتحدث لا يمكنه أن يتحرر من رؤيته الخاصة

فيما يكتب أويقول ولكن الحياة والتعاليم الأرثوذكسية تشمل – خبرات كل إنسان ، وتوحد فيها كل أبعاد الحياة الإنسانية وخبراتها.

ثالثاً: التعليم بصفة عامة أمر يتعلق ببناء النفس ، ومن هذه الوجهة لابد له من تماس مع محصول الدراسات العلمية والأبحاث في مجالات العلوم المختلفة ، ولكننا هنا لا نهدف إلى الحديث عن " التعليم " وإنما عن " أرثوذكسية التعليم " وهناك بلا شك كثير من الدراسات القيمة في مجال التعليم الديني وغيره.

رابعاً: هذا العصر الذي نعيش فيه يتميز بكثرة المفاهيم والأفكار والأيديولوجيات يجعلنا نتساءل عن النظرة المسيحية الأرثوذكسية للحياة ومعناها في وسط هذا الخضم الهائل من المبادئ والأفكار التي تتداخل وتتفاعل مع بعضها البعض ، فلابد لنا أن نميز نظرة محددة للحياة من منظور المسيحية إذ نحن اليوم في حاجة شديدة إلى هذه الرؤية الواضحة التي تربي الفرد على أساس عضويته في جسد المسيح ليتناول حينئذ الحياة والمجتمع والكون كله خلال هذه النظرة القدسية للوجود ، هذه النظرة الشاملة للأفعال الإلهية الخفية والظاهرة في المؤمن والكنيسة والمجتمع والكون كله والتي هي الحياة الأرثوذكسية.

إن الإنسان في حياته اليوم – كما في كل زمان – لا يسنده مجرد عظة يسمعها ثم ينساها أو تأمل يقرأه عن غيره ، أو محاورات فكرية يتطارحها ، إنما السند الوحيد هو شخص " يسوع المسيح " إذ لا يوجد من بديل لمواجهة العالم سوي " يسوه المسيح " – نفسه بكل ما تحمل الكلمة من معان وأبعاد.

نحتاج الآن " ليسوع المسيح الإله المتجسد " نواجه به هذا العصر واحتياجاته وتحدياته ، بل يواجه هو – يسوع المسيح – فينا العالم ويغيره ، هذا العالم الذي يعرض علينا كل يوم جديداً ليلهينا عن دعوتنا الكبري أن نبقي أنوارا له في سوط جيل معوج وملتو (فيلبي ٢: ١٥).

اننا مسئولون وملتزمون نحو العالم كله نحول حياة الناس إلى صورة المسيح الذي أحبهم وبذل نفسه عنهم ، ووضع بين أيدينا مسئولية حمل خلاصه وحياته للجميع.

أمام ذلك كله تظهر أهمية بناء حياة الفرد داخل الكنيسة كعضو في الجسد الحي ، ويكون هذا الهدف في مكان القلب من حياة ورسالة الكنيسة.

ومن منطلق هذه العضوية وهذه الشركة كانت هذه الصفحات ، التي يتحدد غرضها في تقديم رؤية– مجرد رؤية – أو تصور يدعمها فكر الإنجيل وحياة الآباء لما يجب أن يكون عليه التعليم الأرثوذكسي ، رؤية قد تصلح نقطة وقوف للتقييم والمراجعة ثم لإنطلاقة جديدة لمزيد من الدراسة والبحث ثم الحياة والتطبيق.

وفي الحديث عن " التعليم الكنسي الأرثوذكسي " ثمة نقاط معينة يجب الوقوف عندها:
١- إلى أي مدي ترتبط وظيفة التعليم بحياة الكنيسة – ما أهمية هذا العمل ؟ على من تقع هذه المسئولية ؟ ثم أخيراً ما هو من التربية المسيحية ؟.
سنتحدث عن هذه النقاط كمقدمات ومداخل للحديث عن التعليم الأرثوذكسي ذاته.

٢- طبيعة وسمات التعليم الأرثوذكسي:
وهذه تحدد المحتوي والمضمون وأيضاً الشكل والطريقة لكل ما نقدمه في الكنيسة – ما هي الميزة التي تميز التعليم الأرثوذكسي عن أي تعليم آخر ، ذلك بالطبع مبني على أساس طبيعة الحياة واللاهوت الأرثوذكسي .
كيف يمكن للخادم أو أي من كان له صفة المعلم في الكنيسة أن يعد هذا التعليم ويقدمه داخل إطار واضح ومحدد – وهذه النقطة هي موضوع هذا الجزء من الكتاب.

٣- نحتاج أيضاً أن نتحدث عن دور الأسرة المسيحية ومسئوليتها تجاه تعليم أولادها ، إلى أي مدي يمكن أن تساهم الأسرة في أيامنا هذه في تربية أولادها وفي تنشئتهم نشأة مسيحية أرثوذكسية – ما هي التحديات التي تواجهها في هذا المجال ؟ وهل دور الأسرة هنا اختيار تربوي أم حتمية لاهوتية روحية ؟

٤- الخادم أو المعلم الأرثوذكسي .. كيف يكون؟ كيف يمكن للكنيسة أن تعد خداماً أمناء يضطلعون بهذه المسئولية؟.

٥- أخيراً ، برامج ومقترحات ، طرق وأساليب لتوظيف هذا النوع من التعليم في مراحل عمر الإنسان المختلفة ليكون حياً وفعالا في حياة أولادنا ، ذلك طبعاً يحتاج إلى أن تتكامل معطيات العلوم الحديثة مع معطيات الحياة واللاهوت الأرثوذكسي ونحن بلا شك نحتاج إلى جهود جبارة في هذه المجال.

السؤال المهم الآن والذي نحاول الإجابة عليه في هذا الجزء من الكتاب : مع تعدد محتويات وأهداف وطرق وأساليب التربية في عصرنا هو هل يوجد محتوي مميز ووسيلة محددة في التقليد الأرثوذكسي لتعليم أولادنا ؟ أم أننا نحتاج إلى ابتكار طرق وأساليب وأهداف ومضامين جديدة ؟
والإجابة " نعم " يوجد وبكل وفرة وغني في تقليدنا الأرثوذكسي صورة لهذا التعليم من ناحية المضمون والأسلوب.

ونحن حين نتحدث عن التربية من منطلق تقليدنا الأرثوذكسي لا نقصد أبداً استرجاعاً آلياً لأشياء ماضية بطريقة ميكانيكية وانما نقصد الانطلاق الخلاق بمفاهيم وأسس غرسها روح الله القدوس في الكنيسة خلال رحلتها التاريخية وهذا ما نحاول بنعمة الله أن نجليه معاً في النقاط الآتية:

١- مقدمات ومداخل للدراسة:

١- ما معني الأرثوذكسية ؟

٢- بين الوعظ والتعليم والرعاية.

٣- اتبارط التعليم بحياة الكنيسة.

٤- مدارس الأحد والتربية الدينية.

٥- هدف التعليم الأرثوذكسي.

٢- سمات التعليم الأرثوذكسي:

١- تعليم لاهوتي.

٢- تعليم ليتورجي.

٣- تعليم بنائي متكامل للحياة.

٣- نموذج لإعداد الدرس الأرثوذكسي:

الهنا القدوس يسوع المسيح ، المعلم الصالح وحده ، الذي أتي ليعلمنا عن الآب قادر أن يقودنا في موكب نصرته ، ليظهر بنا راحة معرفته الذكية في كل مكان ، إذ نسعي كسفراء عنه ، كأن الله يعظ بنا نطلب عن المسيح تصالحوا مع الله (٢كو ٥: ٢٠) . قادر هو بروحه القدوس أن يعمل فينا كي نتمم بأمانة خدمة المصالحة التي استودعها كنيسته إلى انقضاء الدهور.

عيد الميلاد المجيد — ايبيذياكون

يناير ١٩٨٨ — فوزي مرجان باسيلي

١- ما معني " الأرثوذكسية" ؟

نود أن نوضح في البداية أننا حينما نتحدث عن " الأرثوذكسية " لا نقصد المفهوم الطائفي للكلمة وإنما الأرثوذكسية كمنهج للحياة ، **فكنيستنا كنيسة أرثوذكسية ليس لأنها تمثل طائفة معينة وإنما لأنها تعيش حياتها الجديدة في المسيح يسوع بالروح القدس بمنهج حياة مستقيم يستمد أصوله من رب المجد نفسه ومن بعده الرسل القديسين الذين تسلموا منه وعاشوا الحياة الجديدة.**

المنهاج الأرثوذكسي يشمل فعل الروح في الجماعة والفرد ، والحياة الأرثوذكسية تقوم على أساس أن الفرد عضو في جسد المسيح ، عضو في جسد حي واحد رأسه المسيح له المجد.

لا يمكن لهذا العضو أن يعيش منفصلاً عن باقي أعضاء الجسد ولكن كلما نما وتعمق اتحاده بالرأس نما وتعمق كذلك اتحاده بباقي الأعضاء الذين هم الكنيسة.

الأرثوذكسية لا تعرف الفردية الانعزالية وإنما تؤكد على شخصية الإنسان الفريدة والتي تتكامل مع باقي أعضاء الجسد لبنيان كنيسة المسيح.

لذلك فالإنسان الأرثوذكسي ينمو خلال بعدين أساسيين ، ينمو في علاقته برأس الجسد الذي هو المسيح له المجد وينمو في علاقته بأعضاء الجسد الذين هم المؤمنون بابن الله.

وأعضاء الجسد ليسوا فقط الأحياء على الأرض كأعضاء منظورة مجاهدة ، وإنما الجسد يضم أيضاً أولئك الأعضاء الذين انتقلوا إلى السماء فهم يمثلون الأعضاء المنتصرة في الجسد والتي أكملت جهادها لكنها لا يمكن أن تكمل بدوننا (عب١١: ٤٠) والإنسان الأرثوذكسي يعيش في شركة حقيقية وعميقة مع السمائيين والقديسين الذين انتقلوا إلى السماء ، ونحن يمكننا أن ندرك معهم – مع القديسين – ماهو الطول والعرض والعمق والعلو لمحبة المسيح التي لا تستقصي – (أف ٣: ١٨).

الأرثوذكسية أيضاً تنطلق من إيمانها بتجسد المسيح له المجد وإيمانها بالطبيعة الواحدة بلا انفصال ولا امتراج أو تغيير ذلك معناه اندماج الفعل الالهي والفعل الإنساني في حياة واحدة ، هناك فعل النعمة وهناك الارادة البشرية ، الإنسان يتقبل العمل الالهي ويتناغم معه بارادة حرة فليس اصرار الأرثوذكسية على " الطبيعة الواحدة " مجرد تعريف فلسفي وإنما منهاجاً للحياة يدرك فيه الإنسان مع ضعفه البشري القوة المزخرة له في تجسد ابن الله.

الحياة الأرثوذكسية أيضاً تؤمن بالسر Mystery الذي يدخل إليه الإنسان بالمعرفة والعقل ! فهي تجمع الفعل العقلي والفعل السري الإلهي في حياتنا.

الوعي والعقل يدخلان الفرد إلى السر الذي يدرك معه محبة الله ليس بالمنطق والحواس وإنما بالحياة والاختبار والمحبة القلبية.

الأرثوذكسية لشعبها الدائم بسر التجسد تري صور الله في كل إنسان ، تري كل إنسان صورة الإله المتأنس ، صورة يسوع المسيح ، ومن هنا كان انفتاحها على الكل بالحب ، والخدمة والعطاء فهي إنسانية إلى أبعد الحدود !

الأرثوذكسية أيضاً تؤمن أن الكون والخليقة المادية قد تقدستا بدخول المسيح إلى عالمنا لذلك تحمل مسئوليتها لتقديس العالم والكون والخليقة كلها ، كل شيء قد تقدس بتجسد ابن الله الذي عاش معنا في طبيعتنا وملأ كل أبعاد الحياة في عالمنا ، ملأها بسره الإلهي بالروح القدس.

٢- بين الرعاية والوعظ والتعليم:

(... الذي يدخل من الباب هو راعي الخراف . لهذا يفتح البواب والخراف تسمع صوته فيدعو خرافه الخاصة بأسماء ويخرجها . ومتى أخرج خرافه الخاصة يذهب أمامها والخراف تتبعه لأنها تعرف صوته ... أما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل . أنا هو الراعي الصالح والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف ... أعرف خاصتي وخاصتي تعرفني ... وأنا أضع نفسي عن الخراف (يوحنا١٠).

الرعاية في كنيستنا هي عمل المسيح له المجد وحده ، فهو الراعي الصالح الذي يعرف احتياجات كل نفس ويقودها في مراعيه الخضراء عند مجاري المياه ليشبعها ويرويها.

والمسيح له المجد ليس خارج الكنيسة أو حتي فوق الكنيسة وإنما المسيح في الكنيسة ! والكنيسة في المسيح ! الكنيسة جسد المسيح وهي ليست ككائن مستقل ، أنها لا تمتلك وجوداً في نفسها ولكنها تشارك في وجود الكلمة المتجسد الذي يبقي فيها في الروح القدس والأسرار.

إذن فالمسيح له المجد ينتمي إلى هذه الجماعة الموجودة في العالم ، ليس فقط كرب ومعلم لها وإنما أيضاً كرأس لهذا الجسد الواحد الذي هو الكنيسة.

من هنا فان أبوة المسيح ورعاية المسيح وتعليم المسيح وخلاص المسيح نجده في الكنيسة وليس خارجها ، أن المسيح نفسه بالروح القدس خلال سر الكهنوت يسكب هذه الأبوة وهذا الخلاص وهذا التعليم وهذه الرعاية

ولذلك كلما اقترب الراعي من قلب المسيح كلما زادت ووضحت رعاية المسيح لشعبه والعكس صحيح كلما تغرب الراعي عن قلب المسيح كلما ابتعد المسيح عن رعايته وعمله فلا يجد غير ذاته يقدمها للناس ... فالمسيح هو الباب وهوالبواب وهو راعي الخراف.

والمسيح له المجد يقوم بعمله الخلاصي والرعوي خلال جسده الموضوع في العالم لأجل توصيل هذا الخلاص للعالم كله

وأعضاء جسد المسيح هم أخوة ، أعضاء في جسد واحد مرتبطون معاً ارتباطاً عضوياً ، لذلك فإن المحبة هي العلامة الأولي والسمة الأساسية لحياتهم وأيضاً هي الدليل والبرهان على هذه العضوية ولكن ما يجب أن نلاحظه هو أن المسيح له المجد نفسه هو مركز هذه الوحدة والروح القدس نفسه هو قوة هذه الوحدة وتأثيرها الفعال.

عضوية الإنسان هذه في جسد المسيح جعلت من كل إنسان صورة الله في المسيح ! جعلته مخلوقاً جديداً ، قيمته وكرامته وحياته أعمق وأبعد من كل مقياس !.

ووجود الكنيسة في العالم إنما اقامه الروح القدس لأجل تأكيد هذه القيمة وخدمتها ، خدمة هذا الإنسان الجديد ، خدمة كل إنسان بكل أبعاد حياته ، كل الإنسان.

وهذا ما يجعلنا نؤكد ونزيد تأكيداً على أن كل عمل تقوم به الكنيسة ، كل نظام فيها أو ترتيب إنما ينطبق عليه قول رب المجد نفسه (السبت إنما جعل لأجل الإنسان لا الإنسان لأجل السبت) مر ٢ : ٢٧ .

الكنيسة إذا لا تكتسب وجودها من مجرد شكل تنظيمي بمفهوم المؤسسة ، إنما الكنيسة تكتسب وجودها خلال كل عضو من أعضائها واتحاده بالرأس.

قيمة الإنسان إذا تأتي من عضويته في الجسد ولا تأتي اطلاقا من مستواه الفكري أو الاجتماعي أو العلمي أو حتى مستواه الروحي ! وإنما كل إنسان مهم لأنه فقط عضو في جسد المسيح !.

(انظر الرسالة الأولي لأهل كورنثوس الأصحاح الثاني عشر).

– هنا يمكننا أن نتحدث عن الكنيسة " الخارجة إلى العالم " الكنيسة التي تسعي وراء كل أحد لتخلصه ، الكنيسة التي تهتم بكل إنسان وبكل الإنسان مثلما يفعل ربها ومعلمها على الأرض . المسيح له المجد كان له حضور مؤثر في حياة الناس في جميع نواحيها وهو مايزال كذلك خلال كنيسته ، فالكنيسة لابد وأن يكون لها هذا الحضور الحي المؤثر في حياة الناس.

الكنيسة لا تنتظر الناس يأتون إليها إنما تخرج هي إليهم تسعي إلى اكتمالها بهم.

ونحن هنا لا نقصد أن نتحدث عن " الرعاية " بصفة عامة فهذا مجال متسع جداً وإنما قصدنا أن نؤكد على **أن التعليم والذي هو موضوع هذا الكتاب – داخل الكنيسة وان كان هو رسالتها الأولي لأنه ان هو إلا دعوة للتوبة وإعادة تقييم لكل أمور الحياة في نور المسيح إلا أننا نري الكنيسة أيضاً بين المرضي في البيوت والمستشفيات ، نراها عند الحزاني والمجربين نراها داخل الأسر الفقيرة المختفية ، نراها تلتزم بمشكلات الأسر والعائلات ، تعمل بين المخطوبين والمقبلين على الزواج وتنشط بين المتزوجين حديثا تعلمهم وتتابعهم بالارشاد والرعاية لبناء احجار حية جديدة في كنيسة المسيح ، والكنيسة حاضرة بين المرتدين والمنحرفين والمدمنين ، بين المسنين**

والعجزة والذين ليس لهم من يعتني بهم ، نراها في القرية وبين الأطفال والمعوقين وكذلك في الملاجئ والسجون.

قد لا تستطيع الكنيسة بل لا يمكنها أن تلبي كل هذه الاحتياجات من الناحية المادية ولكنها لابد مستطيعة أن تقدم مسيحها المحب والحنون لكل أحد بمفرده ، حضور الوحدانية والمحبة هو المهم هنا وليس فقط العطية المادية فقد يكون العطاء استعباداً وترفعاً ، فأنت – كإنسان مسيحي – قبل أن تعطيني شيئاً لابد وأن تعطيني ذاتك ! قلبك !

حتى لا يكون عطاؤك إحساناً إنما التزام شركة ومحبة خالصة.

خدمة الافتقاد في الكنيسة هي سعي للاكتمال بهذا العضوالغائب ! أنا بدونك لا يمكنني أن أكون كنيسة ، بك أستطيع أن أكتمل ، ولكن طالما أنت غائب لا يمكن أن أكتمل وأصير جسداً للمسيح ، هكذا تخاطب الكنيسة كل من تسعي إليه في الزيارة والافتقاد.

والكنيسة كما أنها كنيسة رعاية هي أيضاً كنيسة كرازة وتعليم ، هي كنيسة كارزة وأيضاً كنيسة معلمة . فهل يوجد فرق بين الكرازة والتعليم ؟.

٣- بين الوعظ والتعليم:

" ولكن لنا مواهب مختلفة بحسب النعمة المعطاة لنا أنبوة فبالنسبة إلى الإيمان أم خدمة ففي الخدمة أم المعلم ففي التعليم أم الواعظ ففي الوعظ"

رؤ١٢: ٦-٨

(فوضع الله في الكنيسة أناساً أولاً رسلاً ، ثانياً أنبياء ثالثاً معلمين).

١كو ١٢: ٢٨

يجب أن يكون واضحاً أن هناك فرقاً بين الكرازة (الوعظ) والتعليم ، يتضح هذا في حديث الرسول بولس (فهذا عمل وذاك عمل آخر داخل الكنيسة) كما يظهر ذلك في كرازة الرسل وفي حياة الآباء الذين جاءوا بعدهم.

الكرازة (الوعظ) هي إعلان البشارة ، بشارة الخلاص السارة والوعظ يكون لغير المؤمنين كما يختص أيضاً بالمؤمنين أنفسهم.

الكرازة لغير المؤمنين تقدم لهم بشري الخلاص بالمسيح ليؤمنوا ويفرحوا بخلاصهم المزمع أن يكون.

أما وعظ المؤمنين فيعتمد أساساً على الرصيد الروحي لدي الإنسان من حيث تنشيطه وإثارته لأجل التوبة وانعاش الحياة ، هو تعريف الناس بما يجب أن يكونوا عليه وما هو مفروض وما هو مطلوب منهم ، وماذا يعني كونهم مسيحين ، أو يكون تبادل في عطايا واختبارات النعمة لأجل الفرح والتعزية ولعل هذا ما قصده بولس الرسول حينما خاطب أهل رومية قائلاً : " لأني مشتاق أن أراكم

لكي أمنحكم هبة روحية لثباتكم أي لنتعزي بينكم بالإيمان الذي فينا جمعياً إيمانكم وإيماني " (رو ١: ١١ ،١٢) الوعظ والكرازة يمهدان للنفس طريق التوبة فتغير اتجاه حياتها ، وتختار المسيح آلهاً ومخلصاً وملكاً لها ، انهما يؤكدان على هذا اللقاء الأول والتلامس الحبي مع المسيح بعمل الروح القدس.

أما التعليم فهو ليس مجرد أخبار الناس وانما هو مساعدتهم على أن يكونوا مسيحين ! أن يكتشفوا ويختبروا هذا الاعلان عن طريق بنائهم حجارة حية في جسد المسيح **فالتعليم إذا عمليه بناء ، بناء الفرد وحياته داخل الكنيسة ليصير عضوا في ملكوت الله ، في الكنيسة التي هي جسد المسيح** بناء حياة الإنسان الفرد وبناء حياة الكنيسة به !

هذا من حيث الهدف ، لكن يوجد فرق أيضا في الأسلوب ، فالتعليم يعطي مجالاً للمناقشة وتبادل الرأي للمعارضة أو الموافقة لكي يستقي الإنسان تعليمه كاملاً ويستنير به ، أما الوعظ فلا يسمح بذلك إذ أن الخادم يعلن الرسالة ، ينذر ويحذر وأيضاً يبشر كرسول لرب الجنود.

وإذا قرأنا بدقة وقارنا بين عظات الرسل في سفر الأعمال وهي التي كانت تهدف إلى إعلان البشارة ودعوة الناس للتوبة وقبول المسيح ، وبين تلك التي وردت في رسائلهم لأمكننا ملاحظة الفرق الذي نحن بصدده ، فالكارز في سفر الأعمال كان (يعظ) ليعلن البشارة السارة أما في الرسائل فهو يعلم أولاده ليبني الكينسة ويبنيهم أعضاء حية فيها.

ظهر هذا الفرق أيضاً في حياة الآباء بعد الرسل وفي خدمتهم وليس أدل على ذلك من المقال الافتتاحي للقديس كيرلس الأورشليمي في تعليمه للموعوظين إذ يقول:-

(دعني أقدم لك هذه الوصية أيضاً ، أعرف التعاليم وأحفظها إلى الأبد ، لا تظنها عظات عادية ، فإن العظات العادية مع صلاحها واستحقاقها للمديح لكننا ان أهملناها اليوم ندرسها غداً – أما التعاليم بخصوص جرن المعمودية التي نقدمها لك في مقالات متسلسلة فإن أهملتها اليوم فمتي تدرسها كما ينبغي ؟ تصور أنه الآن فصل غرس الأشجار فإننا ان لم نحفر ، ونحفر بعمق كيف نقدر أن نغرس الشجرة بطريقة سليمة) !

وبفكر راق جداً يكشف لنا القديس كيرلس ، عن شكل هذا التعليم وطبيعته فيقول:

(التعليم نوع من البناء ان لم يرتبط بعضه البعض بربط منتظمة يكون البيت معيباً ، ويصير البناء غير سليم ويؤول عملنا السابق إلى لا شيء ، إذن يلزمنا أن نلحق الحجر بالحجر ، ونزوح الزاوية بأخري ، وخلال اللمسات الأخيرة لإزالة الزيادات يصير البناء منسقاً ، وهكذا بنفس الطريقة نجلب المعرفة كما لو كانت حجارة فنسمعك عن الله الحي والدينونة والمسيح والقيامة وأمور أخري كثيرة يلزم تتابع مناقشاتها ... حتى يتهيأ لنا بناء متناسق ، فإذا لم يتهيأ التعليم في وحدة واحدة وترتيبها كما يليق فإن البناء يصير لكنه لا يكون سليما).

وهنا لابد نشير إلى سمه مهمة يتميز بها التعليم الكنسي كما يظهر من مقالة القديس كيرلس ، وهي أن هذا التعليم كان – بتعبير معاصر – تعليماً مبرمجاً أو مخططاً لبناء حياة الإنسان ولم يكن يقدم حسبما اتفق فالقديس كيرلس يوضح أن من الممكن أن يقوم البناء ولكنه لا يكون سليماً !!

*** ارتباط التعليم بحياة الكنيسة:**

من أبرز ألقاب رب المجد يسوع لقب " المعلم " (يو١١: ٣٨، يو ٢٠: ١٦) فهو المعلم الصالح (مت ١٩ : ١٦) ، الذي أتي ليعلمنا ويخبرنا عن الآب (يو ٨: ١٩ ، ٣٨) ، (يو٧ : ١٢، ١٦).

وقد بدأ له المجد كرازته وخدمته بين الناس بإعداد (تلاميذ) يعلمهم ويعدهم ثم يرسلهم للكرازة والخدمة والشهادة. وقد أوصاهم بفمه الالهي الطاهر قبل صعوده قائلاً: (اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به) ، مت ٢٨: ١٦. وقد انتظر الرسل حلول الروح القدس عليهم ثم انطلقوا للكرازة والخدمة ليقيموا تلاميذا وقد دعي المسيحيون تلاميذ (أع ٩ : ٢٦).

ولأن المسيحية تعتمد أساسا على هذه التلمذة التي يسكب فيها المعلم الحياة الجديدة من قلبه إلى قلوب تلاميذه بالروح القدس ، هكذا كانت الكنيسة تنمو وتبرز معها وظيفة المعلم بل لقد تحددت وتخصصت لها موهبة خاصة يسكبها الروح القدس لمن يقيمه مسئولا عن ذلك كما يظهر في حديث الرسول بولس.

وبالرغم من أننا سنؤجل الحديث عن المعلم الكنسي للجزء الثاني من هذا الكتاب أن أراد الله إلا أننا نشير فقط إلى تخصص هذه الوظيفة وأهميتها في حياة الكنيسة.

هذا وقد تميزت في الكنيسة فئتان – ويظهر ذلك بوضوح في الترتيب الطقسي للكنيسة إذ كانت كل فئة تجد غذاءها المناسب.

١– فئة المؤمنين الذين انفتحت قلوبهم لقبول الحق الالهي ، آمنوا بالمسيح ونالوا سر المعمودية ، وانضموا لجسد المسيح ، نبضت حياتهم الجديدة في المعمودية أول ما نبضت ، وصار المذبح مائدة غذائهم للحياة والخلود وهم يكسرون الخبز مع الشركة كل أسبوع. (أنظر أع ٢ : ٤٢).

٢– فئة الموعوظين وهم غير المؤمنين الذين وصلتهم كلمة البشارة ، آمنوا وأعلنوا رغبتهم في الانضمام إلى الكنيسة جسد المسيح ، فكانت الكنيسة تتعهدهم بالرعاية والتعليم إلى أن ينضجوا ويتأكد الأب الأسقف بنفسه من استيعابهم لحقائق الإيمان والحياة المسيحية فيقدمهم لسر المعمودية ليبدأوا بعدها حلقة جديدة من التعليم.

كان ذلك في بداية الكرازة حينما كانت القاعدة في الكنيسة هي تعميد الكبار ، ولكن انتشر الإيمان وأصبحت القاعدة في الكنيسة هي تعميد الأطفال الصغار الذين يولدون داخل الأسر المسيحية ، كانت

الكنيسة ولا تزال تفتح لهم باب الانضمام إلى جسد المسيح على اعتبار أنهم ليسوا غرباء عنه ، فقد ولدوا داخل الجماعة المقدسة ، تغذيهم الكنيسة بالأسرار والصلاة ثم تتعدهم بعد معموديتهم بالتعليم والرعاية لتكشف لهم يوماً فيوماً النور الذي يعيشون فيه ، والحياة المقدسة التي انضموا إليها ، حياة ملكوت الله ليدركوا مع القديسين ما هو الطول والعرض والعمق والعلو (أف ٣: ١٨).

وهنا برز دور الأشبين أو الوصي (والذي غالباً ما يكون أم الطفل أو أباه) ، الذي يتعهد أمام الكنيسة كلها بتربية ابنه وتعليمه الإيمان والحياة المسيحية كما اعترف هو بها قبل معمودية ابنه.

وهكذا لم تتغير وظيفة التعليم في الكنيسة ، وإنما أخذت شكلها الجديد حسبما استجد من أوضاع داخل الكنيسة.

لذلك توصي الكنيسة الأشابين بعد معمودية أطفالهم قائلة لهم : (وأنتم أيها الأشابين تسلمتم اليوم هذه الودائع ... لتجتهدوا في تعليمهم ... وتعلموهم طرق الله المرضية... وترضعوهم من العلوم الروحية أحسن رضاعة ... وتؤسسوهم بالتدبير) .

والسؤال الآن إلى أي مدي تتحقق هذه المهمة اليوم داخل الكنيسة ؟ ذلك يقودنا للنقطة التالية:

* مدارس الأحد والتعليم الكنسي:

لا يتسع المجال هنا للحديث عن مدرسة الإسكندرية اللاهوتية ودورها الذي قامت به في حياة الكنيسة وتسليم الإيمان للتدليل على اهتمام الكنيسة بهذه المهمة كجزء أساسي من حياتها ، وللأسف جار الزمان على هذه المدرسة فما هي إلا قرون قليلة حتى طواها التاريخ لتصبح ضمن مدونات صفحاته فقط ، لم تنطفئ مع ذلك شعلة التعليم في الكنيسة بل تسلمتها الأديرة في الصحراء خاصة دير القديس أنبا مقار ، ولكن ظلت (مدرسة الكنيسة) تقوم بالدور الأساسي في التعليم ، المدرسة ذات الفصل الواحد التي تسلم مبادئ الإيمان.

ولما دخلت مصر العصر الحديث ، تغيرت نظم التعليم ونشأت المدارس الحديثة وضعفت المدرسة ذات الفصل الواحد التي كان التعليم في مصر قائماً عليها بين المسلمين والمسيحيين.

وفي المدرسة الحديثة تضاءل دور التعليم الديني المسيحي وازداد هذا التضاؤل في بداية القرن العشرين وواكب ذلك حركة مدارس الأحد .

كانت الصحوة العلمية للكنيسة القبطية في العصر الحديث على يد البابا كيرلس الرابع " أبو الأصلاح " وليس هنا موضع دراسة جهود هذا البطريرك القديس في مجال التعليم ، وإنما نشير فقط إلى إحيائه مدرسة الإسكندرية وبعثها من جديد ، فتم تكوين الإكليريكية لتصبح المعهد العلمي العلمي للكنيسة لإعداد المعلمين الصالحين.

ثم جهود الرجل العظيم الأرشدياكون حبيب جرجس في نشر التعليم على مستوي أوسع داخل الكنيسة فكانت محاولته الأولي لتنظيم دروس دينية للفيتان في كنيسة الفجالة سنة ١٩٠٥ م تلاها محاولته تدريس الدين بالمدارس الأميرية سنة ١٩٠٨م والتي سرعان ما ضعفت وفقدت فاعليتها بسبب

اصرار وزارة المعارف آنذاك على أن يقوم بتدريس الدين في المدارس مدرسون تختارهم الوزارة بعد أن رفضت اقتراح حبيب جرجس بأن تعين الكنيسة من تراه صالحاً لهذه المهمة.
وأمام ذلك كان المشروع الأول لتكوين مدارس الأحد سنة ١٩١٨م – والتي تغير اسمها بعد ذلك إلى مدارس التربية الكنيسة – داخل الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ، وبارك الأب البطريرك المشروع ثم تكونت اللجنة العليا لمدارس التربية الكنسية بعد ذلك.
وفي الحقيقة نحتاج هنا لوقفة تؤرخ لمدارس الأحد ثم نحلل مراحل تطورها ونموها وأعتقد أن هناك جهوداً وأبحاثاً قيمة من أحياء أعرفهم في هذا المجال.
اتسع مشروع مدارس التربية الكنسية وامتد ليشمل كل كنائس الكرازة المرقسية ، بل أنه في عهد المتنيح البابا كيرلس السادس أصبح هناك أسقفية خاصة بالتعليم ترعي مدارس الأحد وسيم للتعليم أسقف خاص هو قداسة البابا شنوده الثالث أطال الله حياته (نيافة الأنبا شنوده أسقف التعليم آنذاك). والذي ما يزال الراعي والموجه للتعليم داخل الكنيسة والذي يحتضن التربية الكنسية في قلبه.
منذ ذلك الحين اضطلعت مدارس الأحد بمهمة التعليم داخل الكنيسة واحتضنت أجيالا من الخدام ومنها تخرج رعيل هائل من المكرسين وقادة الكنيسة.
ويهمنا بعد هذا العرض التاريخي السريع أن نبرز ثلاث حقائق مهمة:

١- هل نشأ التعليم في الكنيسة بنشأة مدارس الأحد ؟

الإجابة طبعاً بالنفي فقد رأينا ارتباط التعليم بحياة الكنيسة منذ يومها الأول ، وهكذا لم تكن مدارس التربية الكنسية إلا عودة ، أوبتعبير أدق ، محاولة للعودة إلى ما كانت عليه الكنيسة لتحمل مسئوليتها تجاه أولادها ، تعلمهم وتسلمهم حياة الإيمان ، فإن كان الاسم نفسه Sunday Schools قد بدأ في الغرب وعنهم أخذنا التسمية إلا أننا – وربما دون أن ندري – كنا نحاول أن نعود إلى ما كانت عليه الكنيسة وما يجب أن تكون عليه.

٢- ما هي الظروف التي نشأت فيها مدارس الأحد؟

الإجابة على هذا السؤال على قدر كبير من الأهمية إذا أردنا أن نتعرف على الأسباب التي حددت نوع وشكل التعليم في مدارس الأحد في كنيستنا ، صحيح أنه قد حدث تطور وبذلت جهود كثيرة لتحديد أكثر للتعليم إلا أننا نري من وجهة نظر شخصية – أن هذه الظروف تحكمت في نوع التعليم إلى حد كبير. فلقد تعرضت كنيستنا الأرثوذكسية في العصر الحديث لمحاولات تذويبها في أشكال طائفية مختلفة وكان هذا جزءاً من هجوم استعماري شمل بلادنا كلها ، أتت الحملة الفرنسية ومعها محاولة كثلكة الكنيسة القبطية وبذلت المحاولات المدعمة بالنشاط التعليمي والثقافي لنشر المذهب الكاثوليكي في مصر كما تعرضت الكنيسة لمحاولة أخري أكثر عنفا مدعمة بإمكانيات مادية وثقافية كبيرة لنشر التعاليم البروتستانتية بين شعب مختلف وفقير.

وأمام ذلك كله كانت يقظة الكنيسة لتعني بتعليم أولادها وتقدم لهم اللبن العديم الغش ، التعاليم والحياة الأرثوذكسية السليمة ، فكانت الجهود التي استعرضناها في النقطة السابقة . كانت الكنيسة هنا في موقف الدفاع عن عقائد وتعاليم تلك التي كانت تهاجمها فيها الطوائف الأخري.

ومن هنا فرض الموضوع ، موضوع التعليم على الكنيسة ، فلم تكن في موقف اختيار ماذا تريد أن تقدم لأولادها وانما كان موضوع ومحتوي التعليم أمراً مفروضاً عليها.

وكما فرض عليها الموضوع فرض عليها أيضاً أسلوب المعالجة ، فالغرب يتميز بمنهجه العقلي التحليلي وكان يهاجمنا بهذا الأسلوب المميز فكان الرد عليه بنفس الأسلوب والأمثلة على ذلك كثيرة.

نخلص من هذا أن مدارس الأحد يوم نشأتها كان قد فرض عليها موضوعات التعليم وأسلوب معالجتها ، صحيح أن الأمر لم يستمر هكذا ، فقد بذلت محاولات كثيرة لوضع برامج أرثوذكسية شاملة للتعليم فيها وكانت الثمرة الحلوة التي نراها اليوم والتي هي نتيجة تتويج لجهود وصلوات وعمل الكثيرين.

ما أردنا نستنتجه من هذا التحليل هو أن هناك بالتأكيد بناء تعليمياً متكاملاً من حيث المحتوي ومن حيث الشكل يستمد جذوره وروافده من التقليد الكنسي والتسليم الرسولي ، وهذا ما نود أن نحدده بدقة في هذا الحديث وعلى أساس هذا البناء يمكننا أن نقيم ما نقدمه من تعليم اليوم.

وإذا أضفنا إلى ذلك كله البيئة والمجتمع الذي ينشأ فيه أولادنا ويكبرون تكتمل الصورة التي تؤثر على حياتنا وتحتم وجود رؤية مسيحية أرثوذكسية متكاملة للحياة.

٣- ما هو الدور الذي تقوم به مدارس الأحد في الحياة الكنسية ؟

لقد حملت مدارس الأحد ، ولا تزال ، المسئولية بكل أمانة للمحافظة على الإيمان الأرثوذكسي ومنها تخرج كل الرجال القديسين الذين حملوا ولا يزالون مسئولية القيادة في الكنيسة ، رعيل هائل من الأساقفة والكهنة والشمامسة والرهبان ويكفي أن نقول أن من مدارس الأحد خرج الجالس على كرسي مار مرقس الآن قداسة البابا شنودة الثالث آدام الله حياته.

انتشرت مدارس الأحد في كل كنائس الكرازة المرقسية ونظمت فيها فصول لكل مراحل التعليم ، من الحضانة وحتى ما بعد التعليم الجامعي.

وبسبب تخلي الأسرة المسيحية إلى حد كبير عن دورها في تعليم أولادها وقع على مدارس الأحد العبء كله أو معظمه للتربية المسيحية.

وها نحن نلمس دور التربية الكنسية في التعليم والتربية الأرثوذكسية فقد انتقل إليهما دور الأشبين ، كما نلاحظ أن الأسر الآن تسلم مسئولية التربية الدينية لأولادها بالكامل إلى الكنيسة وذلك في فصول مدارس الأحد.

هذا التحدي الصعب الذي نواجهه ، والمسئولية الخطيرة التي تقع على عاتق خدام التربية الكنسية ، يجعلنا ندرك أهمية تقييم وترتيب ما نقدمه في خدمتنا من حيث المحتوي والشكل والتطبيق.

وقبل أن نحدد بدقة سمات التعليم الكنسي الأرثوذكسي – وهو موضوع هذا الجزء من الكتاب – لابد أن نحدد وبدقة أيضاً الهدف من هذا التعليم ، لأن وضوح الهدف يسهل التعرف على محتوي وطريقة التعليم.

٤- هدف التعليم الكنسي الأرثوذكسي :

الذي كان من البدء ، الذي سمعناه ، الذي رأيناه بعيوننا ، الذي شاهدناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة ، فإن الحياة أظهرت وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأظهرت لنا ، الذي رأيناه وسمعناه نخبركم به لكي يكون لكم أيضاً شركة معنا وأما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح ، ونكتب إليكم هذا لكي يكون فرحكم كاملاً. (١يو ١: ١ – ٤)

يحدد الرسول يوحنا هنا ، بوضوح شديد ، الهدف من الخدمة والكرازة ، فالهدف هو إيجاد هذه الشركة مع الثالوث القدوس – خلال الشركة مع الأعضاء الحية في الجسد (يكون لكم شركة معنا) أما شركتنا نحن فهي (مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح) والروح القدس هو صانع هذه الشركة ، وقد أعطيت لنا هذه الشركة لتمتلئ حياتنا بالفرح.

لذلك فالتعليم في كنيستنا هو تسليم الحياة في المسيح ، والكنيسة حين تعلم أولادها فهي تسلمهم كيفية الحياة في المسيح في شركة حقيقية وكيانية في الثالوث القدوس.

يبدأ ذلك حين تفتح الكنيسة باب الانضمام إلى جسد المسيح للعضو الصغير في سر المعمودية ، ثم يصير هيكلاً للروح القدس ساكنا فيه في سر الميرون فيحيا ويتغذي بحياة المسيح في سر الافخارستيا.

يأتي التعليم بعد ذلك ليكشف عن ذاك الذي حدث !

التعليم يتعهد هذا العضو الجديد ليختبر ويتذوق ما قد حصل عليه فعلاً ، ويكشف له عن النور والحياة الجديدة.

يأتي التعليم ليبني حياة الفرد داخل الكنيسة ، فهو عملية بناء مستمرة لتكتمل حياته في الكنيسة ويكتمل به جسد المسيح.

التعليم إذن يبني الفرد داخل الكنيسة ليصير هذا الفرد نفسه واسطة لبناء الكنيسة التي هي جسد المسيح.

بمعني آخر أننا ننمو في استرداد صورة الله فينا بهدف أن نصير مواطنين في ملكوت الله.

التربية المسيحية إذن تأخذ بيد الفرد حسب ظروف حياته واحتياجاته ، تأخذ بيده ليتعمق يوماً فيوماً اتحاده بالمسيح له المجد ، لذلك فهي عملية تغير ونمو يختبرها الإنسان كل يوم.

ولكن جهود التربية في الكنيسة لا تتعامل مع أفراد منفصلين وإنما تتعامل مع أعضاء في جسد واحد ، فالفرد عضو في شركة . ما أهمية ذلك ؟

معني أننا نتعامل في التربية المسيحية مع أفراد أعضاء في شركة حقيقية ، هو أن كل فـرد يجـد إيمانه ويستمد حياته داخل هذه الشركة.

هذا الشخص الذي ينال الخلاص ويختبر الحياة الجديدة خلال عضويته في الجسد لا يعـيش لأجـل نفسه ولا يبحث عن مجرد اختبار شخصي منعزل عن الآخرين ، ولايهتم بخلاصـه فقـط ولكنـه كعضو في هذه الشركة يعبر عن فضائله وحياته الجديدة داخل هذه الجماعة التي ينتمي إليها.

من هنا فإن نمو هذه الشركة يكون متصلا دائماً بالخدمة خدمة هذا الفرد لباقي أعضاء الجسد.

وذلك يجعلنا ندرك أن النقطة الأساسية ليست المنهج وطريقة التعليم فقط وإنما بالأكثر طريقة الحياة في الجماعة ، فالإنسان يأخذ من ميرات الجماعة حسب مقدرته وبذلك يتشكل دوره تدريجياً داخلها.

ويكون أيضاً التحدي الذي يواجهنا فـي عمليـة التربيـة لـيس هـو المنـاهج وانمـا بـالأكثر " حياة الكنيسة " ، " حياة الكنيسة في المحبة ".

فإذا لم يلمس الإنسان الذي تعلمه بيديه ، ويري بنفسه في الكنيسة قوة الحياة الجديدة ، قوة القيامـة فسوف يدير ظهره لنا ، يدير ظهره للمسيح الذي لم يري وجهه!.

ثم ماذا بعد ذلك؟

بتعميق الشركة مع الثالوث القدوس والشركة مع أعضاء الجسد ، نصير مواطنين سـمائيين نحمـل النور والشهادة للعالم كله.

هنا البعد الثالث من أبعاد التربية الأرثوذكسية ، الشهادة ليسوع المسيح ، أن نصير ملحـاً لـلأرض ونوراً للعالم ، نصبح حاملي النور والخلاص للعالم كله.

ومن الصعب اليوم أن نجد نظره (مسيحية) للحياة والكون ، من الصعب أن نلاحظ فرقاً في التفكير والمعني والقناعة بين حياة المسيحيين وحياة غيرهم ، مع أن المسيح أتي ليملأ حياتنا بالمعني ، أتي لتكون للناس حياة ويكون لنا أفضل (يو ١٠: ١٠).

ولكن ما سبب ذلك ؟

السبب أن التعليم يؤكد على نماذج تصرفات وطرق للسلوك دون أن يكون هدفه الكـشف عـن ذاك الذي حدث لحياة الإنسان في المعمودية بالأبعاد الثلاثة التي ذكرناها.

*** تعميق الشركة وتنميتها مع المسيح.**

*** تعميق الشركة مع أعضاء الجسد.**

*** الشهادة ليسوع وسط العالم.**

فالتعليم الأرثوذكسي عملية مخاض وولادة إلى أن يتصور المسيح فيمن نعلمهم:

" يا أولادي الذين أتمخض بكم إلى أن يتصور المسيح فيكم " (غل ٤: ١٩).

لذلك يجب أن نراعي في التعليم الذي نقدمه طاقة كل نفس ومقدار استيعابها للإيمان المسلم لها حتى ما يصير التعليم الذي نعطيه لها طريقاً للبلوغ إلى الشركة الحية والحقيقية في الثالوث القدوس.

نحن نحرث الأرض ونلقي بالبذار ، نتعهدها بالتغذية والسقي ولكن نمو البذرة سوف يظل دائماً في سر ، سر تناغم خلاق بين النفس وبين نعمة الله العاملة فيها.

المهم في التربية المسيحية ليس مجرد توصيل المعلومات وإنما أن يصبح الذي نعلمه أكثر قرباً من الله ومن الآخرين في محبة وشركة حقيقية.

التربية المسيحية تشبع القلب والعقل والحواس فهي تقدم أيضاً الطرق والوسائل لبلوغ الهدف منها ، انها تحفز على الصلاة والإنعاش الدائم للإنسان الجديد ، واثبات حيويته في مواقف الحياة اليومية ، فهي عملية نمو مستمر بالانفتاح على عمل الروح القدس.

بعد ذلك تعود لحياتنا أبعادها الإلهية ، وتعود لنا نظرتنا القدسية للكون والحياة والتي اتي المسيح له المجد خصيصاً ليحققها.

والآن جاء دور الحديث عن:

سمات التعليم الكنسي الأرثوذكسي

يمكننا في البداية تحديد ثلاث مميزات أساسية يجب أن يتميز بها أي تعليم نقدمه في الكنيسة ، هــذه السمات هي:

١- التعليم الأرثوذكسي تعليم لاهوتي:

إذا كنا نحدد من البداية ونصر على أن التعليم الأرثوذكسي تعليم لاهوتي ذلك لأنه – كما قلنا – إن الكنيسة حينما تعلم أولادها فهي تسلمهم الحياة في المسيح ... التعليم إذن هو:

تسليم المسيح

ما معني تسليم المسيح ؟!

* الإنسان مخلوق على صورة الله وقد دعي منذ خلقته أن يحقق صورة الله فيه ويشترك في الحيــاة الإلهية ، وبالخطية حاول الإنسان أن ينفرد بحياته فانفصل عن الله وفقد مقومات حياته ووجــوده ، وصار بالخطية يعيش في عزلة وفساد.

* وقضية المسيحية الأولى والتي هي تجسد ابن الله وظهوره في الجسد هي الحل لمشكلة الإنــسان الساقط لكي يعود ويحيا بحياة الله من جديد.

* ومنذ أن دخل ابن الله إلى عالمنا بالتجسد ، ضمنا إليه بلا انفصال ، ووحــد طبيعتنــا الإنــسانية بطبيعته الالهية كي نحيا بحياته ويسكب فينا معرفة حقيقية عن الآب السماوي لضمان الحياة الأبدية

(هذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت أيها الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته) ، (يو ١٧: ٣).

* هكذا نحن في المسيحية حينما نبدأ بالحديث عن الله لابد أن نصل إلى الإنسان ، وبالعكس إذا بدأنا بالحديث عن الإنسان فمن المحتم أن نصل إلى الله.

* لقد قضي رب المجد بتجسده على العزلة التي كان الإنسان يحيا فيها بسبب الخطية ، كان الإنسان محصورا في تصوراته وأفكاره ، محدودا بامكانياته وقدراته البشرية الترابية ، ولكن يسوع المسيح عبر هذا الحاجز ليصل إلينا ، عبر حاجز العزلة ساكباً فينا حياته هو لنصير بها شركاء الطبيعة الالهية (٢بط ١: ١٤) ، لنعرفه ونحبه ونحيا به حياة حقيقية فهو (أخذ جسدنا وأعطانا روحه القدوس وجعلنا واحداً معه من قبل صلاحه) ثيؤتوكية الجمعة.

* منذ ذلك الوقت – وقت التجسد – أصبح الله في بنيتنا ، استعاد هو فينا صورته ، وأصبح في صميم وجودنا وحياتنا ، فلا يوجد لنا حياة حقيقية إلا إنطلاقاً من هذا الاتحاد وهذه الشركة.

* وهكذا في المسيح لم تعد معرفة الله مجرد محاولة من جانب الإنسان يصل إليها بذكائه وقدراته ، وأفكاره الخاصة لإستيعاب موضوع خارج عن كيانه ولكن معرفه الله صارت هي هي إدراك الإنسان لحياته الداخلية ، واكتشافه لأبعاد اتحاده بالمسيح ونموه في هذا الاتحاد ، إذ إن يسوع المسيح ينقل لنا حياته بالروح القدس.

* من هذا المنطلق يمكننا أن نتحدث عن اللاهوت .. ما هو اللاهوت؟

* اللاهوت ليس علما يتعلق بالمعرفة الذهنية ، كما أنه ليس مجرد علم theology يوضع بجانب غيره من العلوم ، وإنما حينما تتحدث كنيستنا الأرثوذكسية عن اللاهوت ، إنما تتحدث عن حياتنا الجديدة . إذن : اللاهوت هو حياتنا الجديدة كأبناء لله في المسيح بالروح القدس.

* ونحن حينما نتحدث عن اللاهوت لا نقصد مجرد مجموعة حقائق وتحديدات عن الله ندرسها بطريقة فلسفية منطقية ، اللاهوت في هذه الحالة يتشوه ، ويصبح مجرد علم صعب يختص به طلاب كليات اللاهوت والفلسفة دون البسطاء والناس العاديين ... ولكن اللاهوت كما نعرفه هو الشركة في الثالوث القدوس.

* بعد سقوط الإنسان لم يكف الله عن إعلان نفسه لنا ، فبأنواع وطرق كثيرة كلمنا في القديم ، وكان كل غرضه هو اقامة علاقة بيننا وبينه.

* كل إعلان من الله عن نفسه في الكتاب المقدس إنما أعلنه لنا لكي نحيا به ، ليقيم معنا علاقة ترتكز وتتأسس على هذا الإعلان ، فالله غير محتاج إلى الإنسان ليعرفه ، إنما نحن الذين نحتاج إلى الله لنحيا به ولذلك فهو يعلن لنا عن نفسه لنحيا بهذه المعرفة.

* لا توجد حقيقة لاهوتية لا تختص بحياتي وخلاصي ، لأن الله أعلن عن نفسه بالقدر الذي نحتمله ونحتاجه لكي نخلص ، ولكي تتجدد طبيعتنا ونرث الخلود.

*أحيانا يفصل الناس بين " البساطة الروحية " وبين " المعرفة اللاهوتية " وكأنهما على طرفي نقيض.

ما سبب ذلك؟

* السبب هو أن اللاهوت تحدد في ذهن الناس ، بأنه منطق صعب وفلسفة أو محاورات وصيغ كلامية ولم يتحدد أبدا على أنه الحياة حسب عطية الله الجديدة لنا وأننا صرنا أبناء له في المسيح.
وهنا نستعير كلمات أكثر جرأة للاب توماس هوبكو اللاهوتي الأرثوذكسي يقول:
(يبدو أنه قد حدث خلال الثلاثة أو الأربعة قرون الماضية انفصال جذري بين اللاهوت الرسمي للكنيسة وبين الحياة الروحية عندما انحصر اللاهوت في تقديم المبررات المنطقية للعقائد) المسيحية في حين أن الحياة الروحية بمعناها الاختباري للاتحاد بالله انحصرت في قلة من الناس وانفصلت الحياة عن اللاهوت).
ثم يستطرد في تشخيص دقيق وموجع ، موضحاً كيف انفصل اللاهوت عن حياة الناس وانقسموا حيال ذلك إلى فريقين فيقول:
(لقد وضع اللاهوتيون مقابل الروحانيين ، والمتأملون مقابل الرسميين والقديسون مقابل الكنيسة ... وقد حدث ذلك لأن اللاهوت أصبح أكاديمياً ذهنياً علمياً ، وتدريباً عقليا يختص بالتعبيرات اللغوية المنطقية).
صحيح أنه هنا يعبر عن المناخ الروحي الغربي الجاف بأقصي تطرفه من ناحية المعالجة العلمية المنطقية لكل حقيقة لاهوتيه ولكن كما قلنا لا يمكننا أن ننكر أننا تأثرنا بهذا المنهج وبالتالي هذا الفصل بنسبة معينة.
وسنعطي مثالا لذلك.
اعتادنا أن نقدم عقيدة الثالوث القدوس كأنها قضية منطقية عقليه. كل ما يهم الإنسان فيها هو الإشكال الحسابي . كيف يمكن أن يكون الثلاثة واحد والواحد ثلاثة ؟.
ونعطي تشبيهات كثيرة ليستطيع الإنسان أن يفهم ويستوعب إمكانية أن يكون الثلاثة واحداً وأن يكون الثلاثة في الواحد ... وإذا فهم الإنسان التشبيه يتصور أنه قد فهم عقيدة الثالوث ... لقد استوعب عقله الحقيقة واحتواها وانتهت القضية عند هذا الحد ، لقد فهم العقل هذه الحقيقة مثل غيرها من الحقائق والبديهيات الحسية ، احتفظ بها ليقنع نفسيه بإمكانية أن يكون الثلاثة واحداً والواحد ثلاثة أو ليقنع غيره بذلك ممن يهاجمون عقيدة الثالوث في المسيحية ... أما إذا لم يستطع الإنسان فهم هذه الحقيقة فأنه يقنع نفسه أنه لا داعي إذن للخوض في هذه الأمور الصعبة (اللاهوتية) والأفضل أن نكتفي (ببساطة) الإيمان ولكن هل هذه هي عقيدة الثالوث القدوس ؟.

قد تندهش أيها القارئ الحبيب إذا قلت أن الكلام السابق ليس هو إطلاقا عقيدة الثالوث ! **ليس هــو الحياة المسيحية كشركة في حياة الثالوث ، فلاهوت وعقيدة الثالوث القدوس هو إعــلان مــن الله نقبله بالإيمان ونبرهن عليه بالإختبار.**

عقيدة الثالوث القدوس هي إعلان الله عن ذاته لنا بأننا يمكننا أن نصير أبناء له ، إذ بدون إعلان الثالوث لا يمكنني أن أصير ابنا الله ، بل أظل عبدا محروماً من الحياة الإلهية ، ولكنني بالثــالوث القدوس أصير ابنا حقيقياً لله الآب حينما أتحد بالابن الوحيد الجنس يسوع المسيح في المعموديــة فتنتقل هذه البنوة بالروح القدس الذي يسكن فيَّ ، روح المسيح ، الروح القدس، يغيرني ويحــول حياتي إلى صورة المسيح وحينما يحولني إلى صورة المسيح له المجد ادخل إلى حضن الآب كابن حقيقي في ابنه الوحيد الجنس بالروح القدس وأصير وارثا لمجد البنوة مع المسيح.

هذا هو إيمان الكنيسة بالثالوث واختبارها له.

والسؤال المهم الآن هو. ماذا سوف نقدم في تعليمنا إذا لم نقدم هذه الإعلانات الإلهية؟!

إن اللاهوت ليس صعباً لأنه أولاً وأخيراً موضوع إيمان للحياة والاختبار ، إنما الصعب فعلاً هــو المنطق والرياضة التي نحاول بها أن (نتفهم) الحقائق الإلهية ، فاللاهوت برهانه الاختبار والتغيير الذي يتم في حياتنا حينما يقوم الروح القدس نفسه بالشرح والتوضيح داخل القلب والحياة. ان أقوي **دفاع القديس أثناسيوس الرسولي عن لاهوت يسوع المسيح قوله: لو لم يكن المسيح إلها كيــف يمكنني أن أصير ابنا لله وقد اتحدت به في المعمودية التي أخذتها باسم الآب والروح القــدس؟ لا يمكن إلا أن يكون المسيح ابن الله الوحيد الجنس الواحد مع ابيه والروح القدس في الجــوهر لأن اتحادي به أعطاني حياة البنين التي أحياها الآن وأدعو الله فيها أبانا الذي في السموات .. هكــذا فهم آباؤنا اللاهوت وهكذا عاشوه.**

ولكن ما سبب في أن اللاهوت صار قضية عقليه منطقية وليس مجالا للحياة والاختبار؟.

السبب كما قلنا عند استعراض ظروف نشأة التربية الكنيسة ، انه قــد فــرض علينــا الموضــوع والأسلوب ، أتي الغرب بمهنجه العقلي التحليلي التشككي والذي جعل العلم ببراهينه الحسية والعقلية هو المرجع الأول والأخير لكل حقيقة ، أتي الغرب بهذا المنهج ، خاطبنا به فحاورناه بنفس الطريقة ، ثم اننا نعيش أيضاً في مجتمع يؤمن بلاهوت تنزيهي لا يعرف أي طريق للشركة في الحياة الالهية ، هوجمنا وسؤلنا ، فدافعنا ورددنا بنفس المنهج والأسلوب ، وهكذا تشوه لاهوتنا مرة بسبب المجتمع الذي نعيش فيه ومرة أخري بسبب الغرب ، تشوه لاهوتنا على أيديهم بسبب تشوه أفكارهم ومناهجهم في الحياة مع الله.

ولكننا نقول ونكرر أن لاهوتنا الأرثوذكسي هو طريقنا للاتحاد بالله.

هنا تظهر دورنا كخدام في الكنيسة أو أيا كان موقعنا من مسئولية التعليم داخل الكنيسة فيجب أن ننتبه لدورنا جيداً أننا نعلم أولادنا وأخواتنا كيف نعيش حياة أولاد الله ونعلن لهم عطيـــة الله الآب لنا في العهد الجديد.

باختصار نقول أن التفريق الحاصل بين اللاهوت والحياة الروحية هو تفريق تعــسفي وانفــصال وهمي ، يجعل الإنسان يصاب بانفصام في الشخصية في حياته مع الله ... دعونا إذن نقرر معــاً بقناعة كاملة أنه لا حياة روحية سليمة ولا جهاداً روحياً قانوينا بدون اللاهوت ، كما أنه لا يوجد لاهوت حقيقي بدون اختبار تقوي بجهاد أمين لتغيير الحياة إلي صورة المسيح بالروح القدس.

البساطة إذن – كما قيل – هي بساطة النور وليست سذاجة الأمية والجهل ، البساطة هي الــذروة التي نتطلع إليها حينما **نرجع ونصير مثل الأطفال في قبولنا للحق الالهي** دون أن نحكــم عليــه أو نقيمه ونجعل من أنفسنا وفهمنا وقدراتنا المرجع في قبلوله أو رفضه.

المعرفة اللاهوتية اذن مهمة وأساسية فى اختبار بنوتنا لله ، والحصول على معرفة كيانية تنبــع من عشرتنا معه وتذوقنا عمله داخلنا ، يقول العلامة اوريجانوس ان الانسان اللاهوتى هو الانسان الذى يعرف أن يصلى ، وفى الرسالة الى ديوجنيتس في القرن الثانى عبارة رائعة تقــول (لــيكن قلبك هو وعاء المعرفة) .

المعرفة اللاهوتية تنير الذهن والقلب وتهىء الكيان كله لاختبار الحياة الجديدة ، ثم يجىء الاختبار ليؤكد المعرفة ويبرهن عليها ليس على مستوى العقل والمنطق والحــواس **وانمــا علــى مــستوى الاختبار واعلانات الروح القدس داخل قلب الانسان.**

يقول الأب توماس هوبكو فى نفس المرجع السابق:

(أول خطوة نحو استعادة الكشف عن الحياة الروحية فى الكنيسة يجب أن يكون التكامل أو عــودة التناسق بين اللاهوت والاختبار الروحى بحيث يصبح اللاهوت مرة أخرى ما كانه أيام الأبــاء أى الطريق للاتحاد بالله المفتوح أمام كل نفس مسيحية) .

ولا يمكننا اذن بناء حياة روحية سليمة الا على أساس لاهوتى واضح ومحدد.

بقى أن نقول أن الانجيل نفسه كتاب لاهوت وليس كتاب تأملات روحية أو قواعد سلوك وأخلاق أو تشريعات الانجيل كتاب لاهوت لانه يقدم لنا شخص يسوع المسيح ابن الله الذى سكب حياته فــى حياتنا واتحد بنا ، صرنا واحدا معه ليصيرنا بروحه القدوس أولادا لله .

ولو درست رسائل الكتاب المقدس بدقة وخاصة رسائل القديس بولس الرســول لوجــدتها دائمــا تنقسم الى قسمين : القسم الأول منها يقدم الاعلان اللاهوتى ويستحوذ على الجــزء الأكبــر مــن الرسالة ثم يأتى القسم الثانى منها أو خاتمة الرسالة ليقدم نموذج الحياة والسلوك الناتج من قبول هذه الحقيقة والحياة بها.

ماذا تكون النتيجة ؟..

ماذا يحدث حينما ينفصل اللاهوت عن حياة الناس ؟ ببساطة سوف تتحول المسيحية الى قواعد للاخلاق والسلوك ، سوف تصبح فقط تعليما عن الفضيلة ، يحاول الانسان معها أن يدرب نفسه على أن يكون انسانا مهذبا فاضلا ، واذا لاحظنا أن هذا كله ليس خطأ وانما هو هدف صالح فى ذاته يمكننا أن ندرك الخطورة ... هنا لايحس الناس بأى فرق بين المسيحية وأى دين أو مبدأ اخلاقى آخر (مع ملاحظة أنه حتى المذاهب الالحادية لها مبادىء اخلاقية رفيعة) ، اقول سوف يقيس الناس المسيحية بغيرها من الأخلاقيات والفضائل ، ويقينا سوف تكون المسيحية صعبة ، بل يستحيل الحياة بها بسبب صعوبة اخلاقها ، وعدم توافقها مع امكانيات الانسان وقدراته ، أليس هذا بالظبط ما نسمعه الآن ؟!

سوف ينصرف الناس عن المسيح ، ان لم يكن رسميا فسيكون بالحياة والسيرة ، سوف ينزوى المسيح فى ركن صغير فى حياتنا نفرج عنه حينما نأتى الى الكنيسة لنصلى أو نحضر قداسا .

أقول سوف ينصرف الناس عن المسيح ولكنهم قد يبقون! نعم ، قد يبقون ولكن فى خيبة ومرارة ويأس من أنفسهم ، يعانون من الضيق والسأم وفقدان السلام والفرح المميز للحياة فى المسيح .

والسبب هو أن الانسان أغلق على ذاته داخل دائرة امكانياته وقدراته ، ذلك لأن التعليم الذى يقدم له لا يخرج عن نطاق التوبيخ والتقييم ، والدعوة الى أن يصلح حياته ويترك أخطاءه ... ويصير الانسان فريسة لهذا الصراع ، رغبة داخلية للحياة الفاضلة ثم واقع مر من الاخفاقات والفشل .

وهكذا تضيق الحلقة حول الانسان ، انسان العصر الحديث المعذب ، ينحصر فى ذاته وقدراته التى أتى المسيح خصيصا ليميتها ، اتى ليميت هذه الذات الخاطئة كى يعطينا ذاتا جديدة هى حياته الشخصية وامكانيات روحه القدوس الالهية .

المسيح اتى ليميت الانسان العتيق الفاسد وامكانياته اتى ليخرج الانسان من ذاته لينفتح على حياته هو شخصيا ، حياة المسيح التى تنسكب فينا بالروح القدس.

الانجيل وتعليم الأباء تركز باستمرار على عطية التبنى والاتحاد بالله ، وانسكاب حياة الله فينا ، لنثمر لله بالروح القدس . ولا يوجد أبسط وأروع من تعبير القديس بولس الرسول حين يقول " مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فى " (غل ٢ : ٢٠) .

وهكذا حينما نتخلى عن اللاهوت فى التعليم نفقد الرؤية المسيحية للحياة ، وتتحول الكنيسة الى مؤسسة وسط العالم تقارن نفسها به ، ويحكم هو عليها ، لأنها نسيت انها ليست من هذا العالم ، وحياتها ليست من هذه الحياة ، تفقد دورها الأساسى فى الحكم على العالم ، الذى وضع فى الشرير ، وانها هى وسيلة النجاة والخلاص بالنسبة له.

وهنا أستعير عبارة للاب جورج فلورفسكى اللاهوتى الأرثوذكسى المعاصر يقول :

(كانت بشارة الكنيسة الأولى لاهوتية ولم تكن تأملا فكريا عقيما ، فالعهد الجديد كتاب لاهوت ، لذلك كان اهمال اللاهوت فى التربية المعطاة للعلمانيين فى أيامنا هذه مسئولا عن فقدان الوعى

الدينى عندهم ، وعن الاحساس بخيبة الأمل التى تسود المزاج المعاصر ... ان ما تحتاج اليه فـــى عصر كهذا هو اللاهوت الاختبارى السليم لأن الأكليروس والشعب يتعطشان الى اللاهوت).
وفي النهاية نقول وباختصار أن الذين يهملون التعليم اللاهوتي بالمفهوم السابق انما يريدون:
حياة جديدة بدون الروح القدس
خلاصا وفداء بدون المسيح
حياة أبدية بدون شركة الثالوث
فهل هذا يمكن ؟!
طبعا مستحيل !
ولكن هل تقتصر مهمة مدارس الأحد أو التعليم الكنسي عموما على تقديم الحقائق اللاهوتيه فقط ؟
بالتأكيد لا ، أولاً : **لأن الحقائق اللاهوتية لا تدرس إنما تعلم وتسلم بالحياة للاختبار** ، فالمعلم فـــي مدارس الأحد ليس مدرسا يشرح الحقائق ، إنما هو أولاً يعيش ويختبر ، بعد أن يؤمن ويقبل الحقيقة اللاهوتية ، ثم يقدمها لاخوته من قلبه وكيانة وحياته كلها ، وليس من عقله وكلامـــه ودراســـاته ، **ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب** : هكذا هو ينادي وهكذا هو يعلم !.
ومن هنا تظهر أهمية شخص المعلم أو الخادم وهو ما سنتناوله في الجزء الثاني من هذا الكتاب ان أراد الرب.
في الكنيسة نحن لا نستطيع أن نعلم ما لا نحياه ، لاننا حينما نعلم فاننا نصنع شركة لذاك الذي نعلمه معنا ، نحن الذين لنا شركة في الثالوث القدوس.
ثانياً : أن التعليم الديني يقدم أيضاً الطرق والوسائل التي يدخل بها الإنسان إلى هـــذه الاختبـــارات ضمن حياة **الكنيسة لأن وسيلة معرفتنا بالله ليست هي المفاهيم والتعبيرات والصياغات وانما هي الاتحاد بالمسيح والوحدة معه التي تذهب بنا إلى ما هو أبعد من التعبير الخارجي والصياغة.**
ومن هنا تظهر أهمية دراسة الخصائص النفسية الروحية لنمو الإنسان من أجل أن نقدم له الوســـيلة المناسبة للدخول إلي الاختبار.
ولكن من المهم أن نؤكد هنا أن منهج كنيستنا الأرثوذكسية في المعرفة اللاهوتية هو منهج نسكي اختباري وليس هو منهج عقلاني تحليلي ، فالقديسون في كنيستنا هم الذين قـــدموا لنـــا أعمـــق الاختبارات اللاهوتية بحياتهم ، علمونا عنها في كتاباتهم وتلمذتهم.
لا يوجد تفريق أو انفصال بين الممارسة العملية للخدمة الإلهية وبين الدراسة اللاهويتة لها إطلاقا فالأباء الذين كتبوا وعلموا هم الذين مارسوا بتقوي وورع ، بشغف وتأمل وعبادة.
وفي النهاية نقول أن التحديد اللاهوتي الحاسم عن اتحاد اللاهوت والناسوت في شـــخص يـــسوع المسيح ، والذي يعلنه الكاهن في نهاية كل قداس (... بالحقيقة أؤمن أن لاهوته لا يفارق ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين ... وأن هذا الاتحاد ... بلا انفصال ولا اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير)

ماهو إلا الإعلان الأرثوذكسي الآبائي الاختباري عن دخولنا حياة الله ودخول الله حياة الإنسان ، وأن الإنسان يعيش بحياة الله وإذا كان إيماننا أن هذا الاتحاد (بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير) فذلك لأننا نؤمن اننا – ونحن بشر ضعاف – نعيش بحياة المسيح وقوة الروح القدس هنا ، يتخلل اللاهوت كل ذرة من وجودنا وكياننا ، وكل فعل من افعالنا البشرية ، وأن يكون العالم الذي نعيش فيه هو (عالم الله) والحياة التي نحياها هي (حياة الله) ، عالم لاهوتي وحياة لاهوتية لأننا صرنا بالحقيقة هياكل لله وروح الله يسكن فينا.

وهكذا كلما أتضح أمامنا وبوعي شديد هذا الهدف – الاتحاد بالله في المسيح بالروح القدس – كلما حرصنا على أن يكون كل تعليم وكل خدمة ، كل درس في مدارس الأحد ، كل ترتيلة ، كل نشاط ، وكل عمل في الكنيسة ، هادفاً إلى ايجاد وتعميق هذه الشركة بالثالوث القدوس.

واللاهوت بهذا المفهوم هو عطية الروح القدس للكنيسة لأنه يسكن فيها ، رأس الكنيسة هو الإله المتجسد ، أعلن نفسه لها ، وهو يتحدث إلى الأعضاء المؤمنين خلال حياته الإلهية التي يسكبها فيهم بالروح القدس.

لاهوتنا الأرثوذكسي إذن هو لاهوت الثالوث القدوس لأنه لاهوت الوحدة والشركة ، لأن إعلان الثالوث القدوس في وحدانية الجوهر هو النموذج الذي يجب أن نصير إليه ، النموذج الذي نتحول إليه ، أن نصير واحداً ، لذلك فالحياة الجديدة التي ورثناها ، الحياة اللاهوتية تستلزم سلسلة مستمرة ومتطورة من التغييرات في طبيعتنا المخلوقة لنرث هذه الحياة الالهية وننمو فيها.

لاهوت الحياة هذا يقودنا إلى السمة الثانية من سمات التعليم الأرثوذكسي والتي هي نفسها طريق الدخول إلى هذا الإعلان الالهي والنمو فيه وهي: ((الليتورجية)).

فالتعليم الأرثوذكسي تعليم ((ليتورجي)).

* كلمة ليتورجيا:

١- الكلمة يونانية الأصل تتكون من مقطعين Laos (لاؤس = شعب) ، Ergon (ارجون = عمل) ، وهي تعني بصفة عامة العمل العام الذي يشترك فيه جمهور من الشعب أيا كان نوع هذا العمل.

٢- استخدمت الكلمة في ترجمة العهد القديم السبعينية للتعبير عن الخدمات التي تقام في الهيكل.

٣- في كتابات المسيحية استخدمت للتعبير عن اي خدمة تقام داخل الكنيسة ويشترك فيها كل شعب الله.

٤- أحيانا تستخدم بصفة خاصة للتعبير عن " سر الافخارستيا " .

* والعبادة الأرثوذكسية تنقسم في كنيستنا إلى عبادة ليتورجية وعبادة غير ليتورجية ، وهذه الأخيرة هي التي يقوم بها الانسان بمفرده من صلوات خاصة وقراءة في الكتاب وأعمال رحمة ... الخ. أما العبادة الليتورجية والتي تقوم بها الكنيسة كلها ((جسد المسيح)) فهي تنقسم بدورها إلى قسمين:

أ- عبادة ليتورجية سرائرية وهي تشمل أسرار الكنيسة السبعة وهي التي يحصل فيها الإنسان على نعم محددة وتغييرات جديدة في طبيعته.

ب- عبادة ليتورجية غير سرائرية وهي التي تشترك فيها الكنيسة كلها ، شعب الله الجديد ولكنها لا ترتقي إلى مرتبة الأسرار مثل صلاة العشية وصلوات التجنيز والسجدة واللقان ... ألخ.

* العبادة الليتورجية في كنيستنا لا تشرح شيئاً عن الله ، ولكنها هي نفسها الوسط الذي يأتي فيه الإنسان في الجماعة ليتحدث مع الله وجها لوجه دون خوف أو تردد !

يتحدث في ملء فرح القيامة ، انها لغة الكنيسة للحديث مع الله بحرية في فرح حديث الابن مع أبيه ، في الليتورجية نحن نشارك في حياة المسيح فهي طريقنا إلى الإله المتجسد الموجود هنا والآن على المذبح ، نتحد بالصليب والقبر والقيامة كأحداث تتم هنا والان فهي – الليتورجية – تحقق المعنى الأصلي لها ، الكنيسة في الليتورجية تحقق ذاتها ووجودها كجسد المسيح.

الليتورجية أيضاً تقدس لنا الزمان والمكان والأحداث ليمتلئ الكل بحضور المسيح وفي النهاية نقول أن الإنسان المسيحي يأتي إلى الليتورجية لا ليحضر فقط وإنما ليشاهد ويشارك لتتحول حياته بالليتورجية إلى ليتورجية دائمة.

وهذا ما سوف سنتحدث عنه بعد الحديث عن " التعليم الليتورجي ".

٢- التعليم الأرثوذكسي تعليم ليتورجي :

إذا قلنا أن التعليم الأرثوذكسي تعليم ليتورجي ، فذلك لأن الحياة الأرثوذكسية أساساً حياة ليتورجية ، وما التعليم إلا نمو الفرد في حياة الكنيسة جسد المسيح.

خطية الإنسان الأول هي أنه استبدل " نموذج الحياة والشركة والممارسة " الذي أعده له الله ليحيا ويحقق صورته فيه ، بنموذج نظري غير قابل للحياة إذ أصر على أن يعرف بذهنه وأفكاره (شجرة معرفة الخير والشر) وبدلا من أن يعيش آدم ببساطة في فردوس الله وبين أحضانه حيث تأتيه المعرفة من الحياة والممارسة والشركة ، كانت رغبة آدم حين أخطأ هي (اعرف لكي أحيا) بينما دعوة الله الحقيقية له هي (أحيا لكي أعرف) وهذا هو جوهر الليتورجية.

والمسيح له المجد أتي ليرد كل شيء ، أتي ليدخل الإنسان مرة أخري إلى هذه الحياة الليتورجية بدلا من تركيزه على ذاته وقدراته وأفكاره ، لذلك فالمسيح له المجد لم يقدم للإنسان كتاباً جديداً ، وإنما قدم له نموذج حياة جديدة ، هذا النموذج هو حياته له المجد ذاته.

حياة المسيح له المجد هذه يسكبها في قلوبنا بالروح القدس نفسه حين نقبل بطفولة واستسلام عمل النعمة في حياتنا.

في عمق شديد واختصار يرسم لنا كاتب سفر الأعمال صورة كاملة لحياة الكنيسة ممثلة في أول مجموعة فيها وهم الرسل الأثني عشر بعد قيامة رب المجد إذ يقول:

" هؤلاء كلهم كانوا يواظبون بنفس واحدة على الصلاة والطلبة مع النساء ومريم أم يسوع ومع أخوته ". (اع ١ : ١٤).

وحينما بدأت الكرازة واتسعت الكنيسة يرسم سفر الأعمال نفس الصورة الطبيعية للحياة في العهد الجديد ولكن بأكثر وضوح وتفصيل إذ يقول:

" وكانوا يواظبون على تعليم الرسل والشركة ، وكسر الخبز والصلوات ... وجميع الذين آمنوا كانوا معا وكان عندهم كل شيء مشتركاً ... وكانوا كل يوم يواظبون في الهيكل بنفس واحدة وإذ هم يكسرون الخبز في البيوت كانوا يتناولون الطعام بابتهاج وبساطة قلب مسبحين الله ".

(أع ٢ : ٤٢ – ٤٧).

ولو اقتربنا ببساطة شديدة لهذا الوصف لأمكننا أن نحدد بدقة طبيعة حياة شعب الله في العهد الجديد انها حياة مع الكنيسة ، حياة مواظبة واستمرارية ، حياة شركة مع أعضاء الجسد الواحد لأن الرب يضم كل يوم إلى الكنيسة الذين يخلصون (أع ٢: ٤٧).

مرة أخري نقول ان طبيعة حياة شعب الله في العهد الجديد هي حياة سرائرية نتذوق فيها ملكوت الله ولذلك إذا بحثنا عن الفرق بين حياة الإنسان المؤمن في العهد القديم وحياة الإنسان المسيحي في العهد الجديد ، نجد أن إنسان العهد القديم كان يعيش في الوعد بالخلاص ، إذ كان هذا الوعد محفوظاً في ذهنه وأفكاره ، وكانت الرموز تملأ حياته ، متطلعا إلى ما سوف يحققه المسيا ، حينما يأتي ، وهكذا كلما تذكر هذه الوعود وتأملها وحفظها ، كلما اشتاق أكثر للخلاص ، وتأكدت ثقته فيه. أما في العهد الجديد فقد أتي السيد المسيح له المجد ، وأعطانا كل شيء ، وأصبحنا نعيش هذا الخلاص فعلاً ، نتذوق الحياة الجديدة ، وننال عربون ومذاقة الملكوت فعلاً.

حياة الكنيسة السرائرية ، هي احتفال بالملكوت الذي ننتظر كمال تحقيقه ، حينما يأتي المسيح له المجد في مجئيه الثاني. ولكننا ندخل إليه منذ الآن ... نتذوقه وننمو فيه ، لنصير مثل المسيح حينما يأتي ، ونراه وجهاً لوجه.

وإذا اقتصرت حياة الإنسان في العهد الجديد ، على مجرد التأمل والحفظ والدراسة لموضوع الخلاص وملكوت الله ، فإنه لا يكون هناك فرق بينه وبين الذي كان يعيش قبل المسيح !

وبالتالي لا يكون هناك فرق بينه وبين اليهودي الذي ينتظر إلى الآن مجئ المسيا ليحقق له الوعد بالخلاص ؟!

الحياة الليتورجية عندنا هي مصدر المعرفة اللاهوتية ، وهي أيضاً طريق الاختبار لهذه المعرفة ، والتعبير عنها أيضاً.

فنحن نعيش بالليتورجية ما حققه المسيح له المجد لنا في تجسده وفدائه وقيامته.

فنحن نبدأ حياتنا الجديدة ، حياة أولاد الله بالانضمام لجسد المسيح ، إذ نصير أعضاء فيه ... نموت وندفن ونقوم معه في :

سر المعمودية

وحينما نصير أعضاء في الجسد المسيح ونتحد به يسكن فينا روح المسيح ، الروح القدس ، ونصير هياكل لله في ...

سر الميرون

والآن وقد صرنا هياكل للروح القدس ، هذا الذي حل فينا يبدأ ينقل لنا ما للمسيح ، يحينا بحياته ، ويغذينا به ويغتذي إنساننا الجديد في حياته " الجديدة " بطعام " جديد " طعام الحياة والخلود جسد المسيح ودمه في ...

سر الأفخارستيا

ولأننا صرنا أولاد الله ، صرنا نحن مسيح العالم ، ولأن المسيح الآن متحد بنا ، لينير العالم بنا ، بعد أن يغيرنا نحن إلى صورته ، نكون الآن قد صرنا ملحا للأرض ، ونورا للعالم نحمل نور المسيح للعالم كله ، نقتحم العالم بمسيحنا وبروحه القدوس لنغيره ، ونقدسه ، فإن هذا العالم مريض ، ولابد لنا من وسيلة للتطهير وإزالة ما يعلق بنا منه أثناء سيرنا فيه وذلك في أسرار الشفاء.

سر التوبة والاعتراف

سر مسحة المرضي

ولأنه له المجد قد أتي ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد (يو ١١: ٥٢) ، أتي ليعطينا إمكانية الحياة على صورة الثالوث ، بحياة الحب والشركة والحدانية ، لذلك فهو يؤسس نموذجا كاملاً ونواة لهذه الوحدة وهذا الحب حينما يصير اثنان أعضاء في جسده ، يصيران جسدا واحدا وروحاً واحداً في:

سر الزيجة

ثم المسيح نفسه الذي يقدم خلاصه ونعمته في كنيسته للعالم كله ، يأتي هو بذاته ليسكب حياة للعالم خلالنا ، يتمم أسرار خلاصنا وحياتنا بكهنوته في.

سر الكهنوت

تلك هي حياتنا الليتورجية داخل الكنيسة ، نأتي ، نجمتع ليغيرنا المسيح ، نقف معه على جبل التجلي ليس فقط لننظر ، وإنما لنعاين ، نختبر ونتذوق مجد ملكوت الله ، لنعود إلى العالم حاملين النور ، نور التقديس والفداء للعالم كله.

لاشك أن موضوع الحياة الليتورجية للكنيسة موضوع أعمق وأوسع من أن يستوعبه أي مقال أو حتى كتاب ، أنه موضوع وجود وحياة الكنيسة ، مازلنا في نقطة البداية لخلق وعي جماعي لكل الناس نحو طبيعة حياتنا في العهد الجديد ، أنها حياة ممارسة وأسرار شركة ، لذلك نحتاج لدراسات أعمق وأشمل لندخل إلى سر المسيح ، ولأن الموضوع هكذا متسع فنحن نركز هنا على ما يتعلق بناحية التعليم داخل الكنيسة.

وإذا كان هدف التربية المسيحية هو خلق وتنمية هذه العضوية الفعالة في جسد المسيح. **ففي الليتورجية يصبح التعليم بالانجيل حيا ومعاشا** وليس مجرد كلام وعظات.

ان التعليم الديني خارجا عن الحياة في الكنيسة يصبح مجرد " تدريس " كما أن الأرثوذكسية ليست مجرد مفاهيم أو صيغ ولا يمكن أن تحويها كلمات أو قوانين انما هي أكبر من ذلك وأعمق إنها حياة جديدة ، حياة الملكوت.

سأعرض موقفاً لا يمكن أن انساه يوضح ما نود أن نقوله:

يوماً ، أثناء الاحتفال بأحد الأعياد السيدية في القداس الإلهي لاحظت أحد الأخوة الخدام مشغولا بالتصوير الفوتوغرافي لطقس العيد ، وفي نهاية القداس سألته: ماذا كنت تفعل ؟ أجاب بأنه يصور فيلما لطقس العيد لتجهيز شرائح يعرضها على أخوته الصغار في مدارس الأحد فسألته : وأين هم ؟ فأجاب : أننا نتقابل يوم الجمعة ظهراً في مدارس الأحد !

وهنا وددت لو أصرخ بكياني كله وأقول : أخي المحبوب إنك لم تصل القداس الالهي ، ولم تحتفل مع المسيح بالعيد لأجل تغيير الحياة وتجديدها ، كما أن أخوتك الصغار أنفسهم لم يحضروا القداس ولم يتذوقوا فرح العيد ، فرح الملكوت الحاضر الآن وتريد أن تعرض لهم فيلما عن طقس العيد ؟ لماذا؟!.

لو أن الخادم أتي محتفلا بالقداس الإلهي يتذوق بهجة وفرح القيامة ، وأتي معه اخوته الذين يخدمهم ، ملتفين حول المسيح ، حول المذبح ، يشاركون الكنيسة كلها التي تشبع بحضور المسيح ... هل كان ثمة احتياج للتصوير ؟

وأنا هنا لا أناقش موضوع وسائل الايضاح فهو جانب أساسي ومهم في خدمتنا اليوم وانما أردت الكشف عن معني معين ربما ضاع منا وسط زحمة التكنيك.

ورب معترض يقول أن عرض الفيلم للأطفال هو تشجيع ومقدمة لهم لحضور القداس أقول: موافق .. ولكن ماذا يستطيع أن ينقله الفيلم ؟ لينقل ما ينقله ولكنه لن يستطيع أن ينقل " الفرح " ، فرح

التغيير ، فرح حضور المسيح وسطنا ، ان الفيلم يؤدي عمله بكفاءة بل وبقدسية إذا أتي مع أو حتى بعد الاختبار والمشاركة للشرح والتوضيح.

ان التعليم في الكنيسة يكشف عن الحياة التي أمارسها وليس العكس ، فمهما شرحت عن القداس لا أستطيع ، أن أنقل التغيير الحادث فيه والفرح المفعم به حضور المسيح.

اننا نسير بالعكس نشرح ونتكلم ونناقش قبل أن نختبر ونتذوق ونعيش ، لذلك فما أكثر الإجتماعات والندوات والمحاضرات وما أقل الممارسة والحياة الليتورجية.

ألا يثير فينا إحساسًا بالفزع خلو كنائسنا في القداسات والممارسات الليتورجية وامتلاؤها أثناء الاجتماعات والأسرات والدراسات ؟

أصبح شائعًا في وقتنا الحاضر منظر الخادم الذي يأتي بعد انتهاء القداس الإلهي حاملاً كراسة تحضيره ليدرس لاخوته درسًا عن " القداس الإلهي " ولم ينس طبعًا أن يحضر معه (وسيلة الايضاح) !

والنتيجة الطبيعية لذلك أنه أصبح شائعًا أيضًا منظر فصول مدارس الأحد والإجتماعات وقد امتلأت بالأطفال أو حتى بالكبار بعد انتهاء القداس وقد أتوا توا من منازلهم لحضور الاجتماع.

الآن لا يخلو برنامج من برامجنا في مدارس الأحد من دروس عن القداس الإلهي ، شفاعة القديسين ، و... الخ. ولكن ... أخشى ما أخشاه _ أخي الخادم _ أن تكون برامجنا أرثوذكسية من حيث الشكل ومحتوى الدروس ، غريبة عن الأرثوذكسية من حيث التطبيق والحياة.

بسبب ذلك أصبح خادم مدارس الأحد شيئا و" شماس " المذبح شيئا آخر ، وطبعًا لا يوجد في كنيستنا شئ مثل ذلك ، فخادم مدارس الأحد هو خادم المذبح.

وانظر كيف أكدت الكنيسة هذا المفهوم وقدمته بكل وضوح في طقس رسامة الاناغنوستيس (القارئ) وكيف أوضحت ان مهمته تجمع بين تلاوة الأقوال الإلهية في الكتب المقدسة وتفسيرها وكذلك لمس أواني المذبح ثم الحياة بلا لوم !

(... أقبل اليك عبدك اغنسطسا في بيعتك ... واجعله مستحقًا أن يلمس الاواني المقدسة ...).

(... تفضل أملأه من كل فهم وكل حكمة ليتلوا اقوالك الإلهية واحفظه في عبادتك بغير لوم ...).

(اظهر جودك على عبدك القائم أمامك لينذر باقوالك المقدسة التي لعهديك العتيقة والحديثة ويكرز بأوامرك لشعبك ويعلمهم كلامك الطاهر، هب له قلبًا متواضعًا لكي يقرأ ويدرس فيها بنيانًا لسامعيه)

(... أمنحه حكمة وروح النبوة ليتلو أقوالك المقدسة لشعبك بسيرة حسنة بغير لوم ...).

من طقس اقامة الاغنسطس

انظر أخي الخادم إلى انسان تسلم مسئولية التعليم وتفسير الكتاب من على المذبح بقوة الروح القدس وقد تضرعت الكنيسة كلها لاجله وهو يعيش ويحفظ الانجيل بقلبه وحياته حيًا فيه.

نفس الكلام ينطبق قطعًا على الخادمة فهي وان كانت لا تشترك في خدمة المذبح الا انها لابـــد وأن تبقى ملازمة للمذبح والكتاب المقدس في سيرة بلا لوم كل أيام حياتها.

الذي نقوله ونعلمه في مدارس الأحد سوف ينساه الناس بالكامل ، ولكن يبقي لهم شيء واحد ، ذلك هو الفرح والاختبار الذي دخلوا إليه عن طريق التعليم الذي قدمناه لهم ، يبقـــي لهـــم فـــرح القداس الإلهي ، فرح حياة الشركة في الكنيسة ، فرح اختبار الحياة الجديدة التي نحياها ونبـــرهن عليها حينما نجمتع معا في الكنيسة لنعيش ملكوت الله ، هذا إذا كان التعيم المقدم لهم هـــو الأخـــذ بأيديهم للدخول إلى الملكوت والكشف عن ذاك الذي نناله ، ذاك الذي حدث يوم اعتمدنا إلى جـــسد واحد.

ان الحياة الليتورجية ليست مجرد جانب من جوانب حياتنا إنما هي حياتنا الجديدة في المسيح ، نحن في الكنيسة نسلم ذواتنا للروح القدس ليغيرنا بالسر إلى حياة المسيح.

الكلام شيء والحياة شيء آخر ، حتى الانجيل نفسه نفهمه في الليتورجية ، وكذلك نفهم الليتورجيـــة بالانجيل ، لذلك وضعت كنيستنا قراءة الانجيل قبل التناول ، تقرأ لنستنير ثم نتذوق الإعلان الـــذي قرأناه ، فنستنير بالسر أكثر لنفهم عمق الانجيل.

لقد تعرف تلميذا عمواس على المسيح عند (كسر الخبز) ، أثناء الشرح التهب قلبهما ولكن اكتملت معرفتهما وفرحهما عند كسر الخبز ... حينما تناولا من يدي المسيح.

<u>يقول المتنيح أنبا بيمن أسقف ملوي في مقال له عن الروحانية الأرثوذكسية:</u>

لا يوافق الأرثوذكسي على التعليم الذي يجعل الحياة الروحية ممارسات شكلية أو أنشطة اجتماعية ، أو خدمات طائفية أو تأدية شعائر طقسية خالية من الروح.

الروحانية الأرثوذكسية التي تؤمن بالطبيعة الواحدة ، تعلم بأن الإنسان مدعو في الرب يسوع إلـــى حياة الشركة في المسيح ، لهذا فإن سر الافخارستيا يمثل محورا هاما بل حجر الزاوية في الحيـــاة الروحية الأرثوذكسية ، لأنه خلال الاتحاد بالجسد والدم الأقدسين نكون جميعاً جسداً واحداً وروحـــاً واحداً وقلباً واحداً ، كما نتحد بالرب نفسه إذ يثبت هو فينا ، ونثبت نحن فيه.

لهذا نجد التعليم الأرثوذكسي النقي لا يتخذ شكل التداريب الجافة التي يمارســـها الانـــسان بذاتـــه كوسيلة الصعود إلى الله ، والارتفاع اليه. ان الروحانية الأرثوذكسية هي اختبار الحياة في المسيح ...

الروحانية الأرثوذكسية لا ترضي بالحياة لاجل المسيح فقط ولا بالحياة مع المسيح فقط وانما تهدف إلى الحياة في المسيح.

ومن خلال هذا الاتجاه تنطلق كل خدماتها وعباداتها وأنشطتها المختلفة.

ويستمر نيافته في حس أرثوذكسي راق يقول:

(الروحانية الأرثوذكسية لا تعرف الروحانية الفردية ، فمنذ أن يولد المؤمن ولادة ثانية بالمعمودية ، وهو يغرس في الكنيسة غرسا ، وجميع أسرار الكنيسة تهدف إلى هذه الوحدة المقدسة ، التي تجعل المؤمنين جسدا واحدا ، وروحاً واحداً ، وفكر واحداً وقلباً واحداً ، بإيمان واحد ، لرب واحد ، وإله واحد ، ورجاء واحد ، ودعوة واحدة ... نحن نحتاج أن نربط ربطاً أمينا وعميقاً بين حياة الانسان المسيحي الروحية ، والليتورجيات في مختلف أنواعها وممارستها في الكنيسة.

كما يكتب أحد اللاهوتيين المعاصرين قائلا :

(كلمة الله لا يمكن أن تفهم بشكل صحيح ، إلا على أساس ما استقر في الكنيسة ، وهي الممارسة الحية لشعب الله في الليتورجية ، هي ممارسة الجماعة التي تنعكس بشكل واضح على الفهم الجماعي ، الذي تؤكده وتثبته الليتورجية.

هذا هو الفهم الصحيح للعقيدة وهو ليس فهما عقليا نظريا بل ممارسة يدعمها التذوق ..

نصوص الكتاب المقدس لا يمكن عزلها عن الحياة الكنسية لأن هذا معناه اخراج الكتاب المقدس خارج المسيحية نفسها).

نحن في الصلوات الكنسية ننتقل من مجال التعليم ، إلى مجال تذوق أسرار وعمق هذا التعليم ... هذا بدوره يجعل الفصل بين الإيمان والليتورجية أي بين العقيدة والطقس مستحيلاً.

الليتورجية هي الممارسة العملية لأسرار الإيمان وتذوق الحياة الجديدة في يسوع المسيح بالروح القدس ... مايسلم هنا هو الحياة وليس مجرد مبادئ أو أفكار أو نظريات).

الكنيسة تنقل كل ما يخص حياتها وإيمانها إلى الصلوات والطقوس ، فهي لا تحفظ في الذاكرة ، بل تحفظ في الحياة وعندما تحيا الكنيسة ، فهي تصلي وعندما تصلي فهي تحدد بدقة وبشكل واضح ما تؤمن به ، والوسيلة إلى تحقيق ما ترجو وتتطلع إليه).

وهكذا ، بعد أن تجسد ابن الله وعاش حياتنا لا يمكننا الآن الدخول إلى المسيح على ابعاد بشرية ، إنما نحن نسلم أنفسنا ليغيرنا هو بالروح القدس ، هنا عمل الأسرار ، السر يغيرنا نحن لكي يمكننا أن نعرف المسيح ونفرح به ونتلذذ بحضوره.

هو عطاء من الله لنا حينما نتحرر من ذواتنا وندخل كأطفال صغار إلى السر لندرك غير المدرك.

نتغير في المعموية فيمكننا أن ندرك موت المسيح وقيامته.

نتغير في الميرون لنحيا بالروح القدس.

نتغذي في الافخارستيا فننمو في حياة القيامة والنصرة.

يغيرنا المسيح حينما نجتمع في الكنيسة فنحيا في توبة ، يكون حاضرا في وسطنا ، حضورا الهيا حيا (عمانوئيل الهنا في وسطنا الآن بمجد أبيه والروح القدس) ، وهنا يمكننا أن ندرك معني أننا جسد المسيح الواحد والذي هو له الرأس ملء الكل !

وطبيعة التعليم الليتورجي هذه لا تستند فقط على أننا بالتعليم نسلم الحياة الأرثوذكسية والتي هي بالأساس حياة ليتورجية ، وانما أيضاً لأن الطريقة method نفسها ، طريقة التقليد الكنسي في التعليم هي طريقة ليتورجية.

يقول الأب الكسندر شميمان اللاهوتي الأرثوذكسي المعاصر:

(ان التعليم في الكنيسة بكل جوانبه ، شرح الكتاب – الكشف عن معاني قانون الإيمان – الأخلاق المسيحية أي المحتوي الكامل للتعليم كان ينتقل باتصال مباشر بالخدمات الليتورجية ، وخلال هذه الخدمات. والدليل على ذلك هو أن الجزء الأول من الليتورجية (القداس الالهي) مازال إلى اليوم يحمل اسم (قداس الموعوظين) ، ليس لأنه كان مسموحا للموعوظين بحضور هذا الجزء ولكن بصفة أساسية لأن هذا الجزء كان ولا يزال خدمة تعليمية).

ونحن إذا نظرنا إلى طقس كنيستنا في كل مناسباته الليتورجية ، لوجدنا أن محتوي القراءات ، وطقوس الخدمة ، تقوم بوظيفة تعليمية في الأساس.

أنظر مثلا طقس الصوم الكبير وقراءاته تجد أنه كان وقت التعليم للموعوظين ، إذ كانت الكنيسة تجمعهم وتصوم معهم ثم تسلمهم حقائق الإيمان المسيحي (يظهر ذلك واضحاً في خط قراءات الصوم الكبير الذي يحتاج لدراسة منفصلة) – ثم تحتفل بمعموديتهم يوم سبت الفرح (يوم دفن المسيح) ، وتحتفل بقيامتهم مع المسيح فتكون زفة المعمودية هي زفة عيد القيامة نفسها !

وسوف نعود بمشيئة الرب لدراسة هذه النقطة بالتفصيل عند الحديث عن طرق ووسائل التعليم في الفصول المختلفة لمدارس الأحد.

ولكن ما نود أن نلفت النظر إليه هو اننا كثيراً ما نتحدث عن الوسائل التعليمية أو (وسائل الايضاح) المبتكرة والجديدة وهذا جيد ومطلوب ولكننا ننسي أن هناك وسائل ايضاح تعليمية حية ومكرسة ! بل وتحمل قوة تغيير وفرص اختبار وتذوق !

وحتى المبني الكنسي نفسه غني بوسائل تعليمية سمعية وبصرية للتعلم والنمو.

(نعم ، يوجد أشياء لا يفهمها الصغار ولكنهم يدخلون إلى معناها ويدلفون إليه إلى حد غير محدود إنه الإيمان الروحي النقي الذي يصل إليهم خلال الحضور الالهي يختزنونة في قلوبهم ، هذه الأشياء البسيطة في المبني الكنسي والطقوس المختلفة ، والاشارات والحركات تدفع المعني من العقل إلى القلب ببساطة وسهولة).

(النعمة الخاصة التي يجب أن يصلي من أجلها خادم الكنيسة ويطلبها من الله بالحاح هي كيفية نقل المفاهيم الأولوية إلى تفاسير حية خلال الرموز والاشارات الطقسية ، هناك فراغ هائل في عقول الأطفال مهيأ لقبول الحقائق الدينية في رموزها. وإشاراتها الطقسية ونحن نترك – ان أهملنا التربية الليتورجية هذا الفراغ كما هو خاليا إلى أن يفهم الأطفال معاني الرموز حينما يكبرون ، لا يمكننا أن

نصف إلى أي مدي يمكن أن يستفيد الطفل من الطقوس والممارسات الليتورجية حتي لو لم يفهم أي شيء على الاطلاق !

وظيفة التربية الكنسية هي التشويق والحث ، انها تلعب الدور الحاسم في أن ينفتح الوعي اللاشعوري لدي الأطفال على هذا العالم السماوي البديع).

ينطبق هذا الكلام ليس على الأطفال فقط وإنما على الكبار أيضاً ، ولكن تفقد الليتورجية أهميتها التربوية ومعناها إذا أصبحت مجرد طقوس خارجية ، إذا تحولت إلى شكل بدون محتوي أو مضمون ، فاذا فصلنا الرموز عما ترمز إليه تحولت إلى نوع من الوثنية !

لذلك لا يجب أن نؤكد على مجرد الممارسة الشكلية الميكانيكية دون الوعي بمعناها وابعادها اللاهوتية في تعليمنا الليتورجي للكبار ، ويجب أيضاً على من يقومون بأداء طقوس الصلوات الليتورجية أن يكون لديهم الوعي التام بمعانيها وابعادها ثم يقومون بها **بعبادة وصلاة وتقوي** ثم أخيراً يحسون بمسئوليتهم تجاه الكنيسة كلها أن **تشارك وتتعبد وتفرح معهم** فحضور الشعب الصلوات الليتورجية ليس مجرد حضور وإنما هو مشاركة وعبادة وصلاة فالليتورجية ، كما قلنا هي اشتراك الكنيسة كلها ، **شعب الله في العبادة الحية.**

يتحدث الأب شميمان أيضاً عن مهمة المعلمين والآباء في الكنيسة وهي تتلخص في:

دعوا الأولاد يأتون ... ولا تمنعوهم (مت ١٩: ١٤).

ويقول :

(إن النصوص تأخذ حياة في الطقس وتركيب الخدمة الليتورجية ككل .. في الدورات الليتورجية اليومية والأسبوعية والسنوية تملأ الكنيسة الزمن بذكري المسيح ، حضوره الحي ونعمة الروح القدس يتخللها كل نواحي حياتنا).

وهو يضع ثلاثة مبادئ أساسية تحكم التعليم الليتورجي في الكنيسة موضحاً حتمية أن يكون التعليم ليتورجيا فيؤكد على:

١- الربط بين دراسة الانجيل والخدمات الليتورجية :

بمعني ألا يتحول الانجيل وخاصة العهد القديم إلى مجرد قصص وحكايات وانما حياة وممارسة ، فكيف يمكننا دراسة حادثة الطوفان مثلا وعبور البحر الأحمر ما لم يرتبط ذلك بالمعمودية وطقسها ، والعكس صحيح إذ كيف يمكننا فهم وإدراك عمل المعمودية ما لم نعرف أنه التحقيق العملي للصورة المصغرة والرمزية في حادث الطوفان أو عبور البحر الأحمر وكيف يمكننا دراسة سر الميرون ما لم يرتبط ذلك بدارسة يوم الخمسين في العهد القديم وكذلك عمل " الزيت " في العهدين ... هكذا يصبح الانجيل حيا معاشا وتصبح الليتورجية خلاصا وحياة.

٢- الدخول إلى حياة رب المجد في الأعياد والمناسبات:

بمعني ألا تكون أحداث حياة المسيح **أحداثا تاريخية وانما أحداث خلاصية** ، نأخذ منها كل يوم جديداً حينما نشترك فيها ، تتقدس حياتنا ، نستعد لها بالتوبة ونتذوق فيها الفرح والتغيير بالاشتراك والحياة.
لا يكفي هنا أن يحفظ الأطفال أسماء الأعياد وتواريخها فذلك موجود في النتيجة السنوية ، وانما نقصد الاشتراك والحياة والممارسة.

٣- معاني أسرار الكنيسة تظهر في صلواتها ونصوصها الليتورجية:

بمعني أن نعود باستمرار إلى صلوات الأسرار وطقوسها لنفهم ماذا تريد بالضبط أن تقوله الكنيسة وتقدمه لنا.
كل طقس يجد أساسه في الانجيل وكل حادثة في الانجيل تجد صداها وحيويتها والتعبير عنها في طقس ونصوص الصلوات.
وخلاصة القول هي أن الوعي الليتورجي والحياة الليتورجية والتعليم الليتورجي يجب أن **يكون وعيا بالخلاص وحياة في الخلاص وتعليما عن الخلاص ، نعم هذه هي كنيستنا الأرثوذكسية** ، فحياة رب المجد ، صليبه وموته وقيامته هي كلها أساس الأسرار والليتورجية ، عليها قامت وتبقي.
نحن لا نؤكد على الحياة الليتورجية منفصلة عن فعل المسيح الخلاصي وعمله الإلهي فالحياة الليتورجية هي مدخلنا لحياة الخلاص بل هي هي حياة الخلاص محققة فعلاً في حياتنا (**تجسد وتأنس وعملنا طريق الخلاص**) كما يصلي الكاهن في القداس .
فنحن في العبادة والصلاة تنفتح أرواحنا على الروح القدس وتكتسب حساسية لعمل المسيح الخلاصي ، وهكذا تكون الليتورجية في مبناها ومعناها وفي الحديث عنها لقاء مع هذا الإله الذي صار إنسانا ليفدينا ويغذينا بحياته الإلهية.

* ليتورجية الحياة : أي (حياة الخدمة العامة والمحبة) :

السؤال المطروح الآن علينا بشدة والحاح خاصة في هذه الأيام التي نعيش فيها هي : هل تقتصر الحياة الليتورجية على فترات العبادة في الكنيسة ؟
والإجابة قطعاً بالنفي فنحن نأتي إلى الليتورجية في الكنيسة لنخرج منها وقد تحولت حياتنا إلى ليتورجيه دائمة !
في نهاية القداس الإلهي وبعد أن نتناول جسد المسيح ودمه – والذي هو غاية كل ليتورجية – نصلي (قد امتلأ فمنا فرحاً ولساننا تهليلاً) ، ولكننا نجد الأب الكاهن وقد وقف مقابلنا مخاطباً أيانا :

محبة الله الآب ونعمة الابن الوحيد وشركة ومواهب وعطايا الروح القدس تكون معكم. امضوا بسلام وسلام الرب مع جميكم.

ما معني ذلك ؟

معناه أننا في الليتورجية تعمق اتحادنا بالثالوث القدوس وامتلأت حياتنا بالمحبة والسلام والنعمة ، فاضت فيها بغني مواهب وعطايا الروح القدس والآن ، نمضي ، نمضي – في سلامنا هذا – لنسكبه محبة وخدمة للعالم كله !

الإنسان المسيحي يعيش منذ معموديته صورة الله ، صورة المسيح يتناول كل الأشياء باعتبارها آتية من الله ويقدمها له من جديد ذبيحة شكر.

فترات الليتورجية والعبادة في الكنيسة هي فترات تحول وتجل لطبيعتنا الجديدة في المسيح يسوع والتي لابد وأن تكون واسطة لتحول وتجديد العالم كله.

ونحن إذا دققنا القراءة في النص الوارد في سفر الأعمال (أع ٢: ٤٢ : ٤٧) لوجدنا أن الكنيسة كانت كنيسة شركة ليتورجية وكانت أيضاً كنيسة خدمة وعطاء محبة ، حياة الشركة في الكنيسة تنمو باستمرار باتصال بالخدمة ، ونحن يجب أن نعيش ونربي أولادنا على هذا المعني للحياة ، تقديس الحياة في الزمان والمكان للمسيح ، وهذا هو البعد الثالث للتربية الذي ذكرناه وهو بعد الشهادة للمسيح ، المرض ، البؤس ، الشقاء ، الحاجة... عذاب العالم ومعاناته كيف تتحول إلى المسيح هذه هي مسئوليتنا في الحياة والتعليم.

يجب أن نعلم أولادنا – وبالتالي نعيش نحن أيضاً – اننا نلاقي المسيح شخصيا في كل إنسان نقابله في الشارع والعمل والمواصلات ، نقابل المسيح في شخص العاجز والفقير والمريض والمحروم والمنبوذ والمشرد ... الخ.

يجب أن نعلم أولادنا في التربية الكنسية أن حياتنا كلها حياة عبادة وصلاة سواء في الكنيسة أو خارجها ، نظرة مثل هذه للحياة كفيلة بتغيير أشياء كثيرة جداً في حياة الناس التي اتي المسيح له المجد خصيصاً ليغيرها.

ان الآباء في بساطتهم وتعليمهم عاشوا هكذا **فقصة القديس أنبا بيشوي** معروفة لنا جميعاً حينما أسرع أولاده الرهبان ليقابلوا المسيح في الجبل بينما هو قد قابله فعلاً وحمله على كتفيه في شخص الرجل الفقير المريض الذي قابله أثناء سيره في الطريق.

وقصة **القديس أنبا أغاثون** الذي خرج ليبيع عمل يديه فقابلة إنسان مصاب بالجذام وطلب منه أن يحمله معه إلى السوق ثم طلب منه أن يذهب ليبيع عمل يديه وحينما عاد طلب منه أن يشتري له طعام ثم يحمله إلى حيث أتي به ، ثم اختفي عنه بعد ذلك بعد أن طوبه !

– هذا الإحساس الليتورجي للحياة وللناس يجب أن يكون هو دعامة الحياة العملية والتعليم الكنسي ، **يجب أن نحرر التربية الكنسية والتعليم فيها من قيود الكلمات والأماكن تنطلق بالصغار إلى حيث**

يوجد الإنسان الحقيقي ! الإنسان المعذب يحسونه بقلوبهم الصغيرة النقيـــة ، نعلمهـــم كيــف أن الكنيسة تحول الموت والألم والمرض إلى قيامة وشهادة وفرح ، تحوله إلى ذلــك حينمـــا يتـــسلمه المسيح منا ، ووسيلتنا لذلك كله هو المحبة .. المحبة ، والخدمة والعطاء والانفتاح على كــل نفــس نلاقيها فنري فيها صورة المسيح الاله المتجسد.

هنا أتذكر عبارة **القديس يوحنا ذهبي الفم** حين يقول: (يوجد مذبح آخر مصنوع من أرواح حية ، هذا المذبح هو المسيح نفسه ، جسده ، يجب أن نقدم ذبائح البر والرحمة على هذا المذبح أيضاً).

ليتورجية الحياة هذه تجعلنا ندرك أنه إذا انفصل اللاهوت عن التعليم ، أو الليتورجية عن اللاهوت أو حياتنا اليومية عن معني الليتورجية فإن حياتنا المسيحية تتحول إلى أجزاء منفــصلة وتتجـــزأ مادة التعليم إلى موضوعات مختلفة ، مواد دراسية Subjects لا علاقة بينها : لاهوت – طقس – عقيدة – كتاب مقدس ... الخ. وهنا تكمن الخطورة لأن النتيجة ستكون فقدان وحدة الحياة في المسيح ، فقدان وحدة الحياة التي تعيش الانجيل في الليتورجية ويتحول فيها الانجيل إلى ليتورجية دائمة.

ذلك يقودنا للحديث عن السمة الثالثة من سمات التعليم الأرثوذكسي " انه تعليم بنائي متكامل ".

٣- التعليم الأرثوذكسي تعليم بنائي متكامل :

إذا خرج اللاهوت من حياتنا واختزل إلى مجرد صياغات تعليمية فإننا نفقد النظرة القدسية للعــالم والحياة ، ويصبح الإيمان مجرد أسئلة قانونية والإجابات عليها مشكلات وحلولا منطقية بصورة لا تتعلق أبداً بالحياة ... وهكذا تتفتت أبعاد حياة الكنيسة المتكاملة كما وصفها سفر الأعمال :

(كانوا يواظبون على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلوات ... جميع الذين آمنوا كانوا معا وكان عندهم كل شيء مشتركا والاملاك والمقتنيات كانوا يبيعونها ويقسمونها بين الجميع كما يكون لكل واحد احتياج ...) (أع ٢: ٤١ – ٤٧).

هذه الأبعاد المتكاملة والمميزة لحياة الكنيسة هي :

* **العبادة (الليتروجية).**
* **التعليم .**
* **الشهادة والخدمة :**

وإذا انفصلت هذه الأبعاد وفقدت تكاملها ، وتحولت العبادة واختزلت إلى مجرد طقـــوس ، وتحـــول التعليم إلى صيغ ومحاورات كلامية وتحولت الشهادة ليسوع المسيح والخدمة إلى مجرد نظام صغير لقواعد الأخلاق والسلوك.

ذلك كله يقودنا دون أن ندري إلى فقدان الرؤية الحقيقية للحياة كما خلقها الله . إله خلـــق الإنـــسان كاهنا للكون ، يقدسه ويقدمه لله في حياته ولقد أعاد لنا يسوع المسيح بتجسده هذه النظرة القدسية بعد

أن حققها بنفسه فعلا وأصبحنا الآن مسئولين عن التكامل والانسجام بيننا وبين الله ، بيننا وبين الناس ، وبيننا وبين الخليقة كلها ، ذلك هو عمل الروح القدس فينا الآن.
عملنا أن نري العالم كما يراه الله ، نستخدمه كما أراده الله ، ثم نقدمه مرة أخري ذبيحة شكر لله.
ولكن ما سبب شيوع هذه النظرة المجزأة لحياة الإنسان وفقدان هذا التكامل الالهي في حياتنا التي هي حياة (الكمال wholeness) .
السبب – هو محتوي التعليم وطريقته ...
حياتنا الجديدة في العهد الجديد هي عطية الله لنا ، في ابنه يسوع المسيح ، بالروح القدس.
هذه الحياة تم الإعلان عنها بالكامل وبصورة نهائية وتم انسكابها في حياة الإنسان في تجسد ابن الله ... صحيح أنه قبل التجسد لم يترك الله الإنسان ولم يهمله ، لم يكف عن الحديث معه ولكن التجسد كان الكمال والنهاية (الله بعد ما كلم الآباء بالأنبياء قديما بأنواع وطرق مختلفة كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه) عب ١: ١.
إذن كمال هذا الإعلان ومصدر كل معرفة عن الله ، هو يسوع المسيح الاله المتجسد.
* هذا الإعلان مقدم للإنسان لكي يختبره ويعيشه داخل الكنيسة ، التي هي جسد المسيح وموضوع حياتها هو اختبار هذا الإعلان كيف تعيش به وتتغير به فيها حياة كل فرد من أفرادها.
* ولذلك حينما حاول الهراطقة تشويه هذه العطية التي نالها الإنسان في المسيح ، والتي هي نعمة البنوة لله ، أنزعجت الكنيسة جداً وهبت تدافع ، يسندها إيمانها بالإعلان الإلهي وخبرتها الحية والحقيقية لهذه الحياة الجديدة ، فصاغت خبرتها هذه في قوانين ودساتير للإيمان ، وانعقدت المجامع المسكونية وغيرها تقنن ما سبق وعاشته الكنيسة منذ يوم العنصرة ، وتضعه واضحا في صيغ إيمانية محددة.
* كل ذلك والتاريخ يسجل ، فسجل لنا خبرة الحياة الجديدة هذه ، وأثر هذه الحياة على مستوي حياة كل فرد داخل الكنيسة ، وأتت حياة القديسين وسيرهم لتقدم البرهان والدليل على صدق الإعلان وقوته ، وعمق الخبرة وأثرها في حياة الفرد داخل عضويته في الجسد.
ثم هناك المجال والطريق للدخول لهذه الخبرة وهذه الحياة ، كل إنسان يدخل ليتذوق ، يعيش ما سبق وأعلنه الله ، وما عاشته الكنيسة ، ومعرفة طريق الدخول إلى هذا الاختبار هو حياة الكنيسة الليتورجية بكل جوانبها.
نخلص منذ ذلك إلى أن حياة الكنيسة بكل جوانبها هي حياة واحدة ، تقدم المسيح الواحد غير المنقسم ويكون:
إعلان الله عن محبته لنا هو: تجسد ابن الله وبشارة الانجيل المفرحة بذلك.
اختبار هذا الإعلان هو : حياة الكنيسة ، التي :
يسجلها للأجيال : التاريخ الكنسي.

تقننها وتعبر عنها : المجامع والقوانين الكنسية.
عاشها واختبرها : آباء الكنيسة وقديسوها.
ندخل إليها ونشارك فيها : من خلال الأسرار والحياة والليتورجية.

* إن هذه الأبعاد مجتمعة هي الحلقة الذهبية للتعليم ، نقط على دائرة واحدة هي دائرة التعليم الكنسي ، دائرة الحياة الواحدة في المسيح الواحد داخل الجسد الواحد.

* قد نضطر من الناحية الاكاديمية وبغرض البحث والدراسة العلمية ، إلى تقسيم هذه الحياة الواحدة إلى أبعاد وعلوم مختلفة. لاهوت ، طقوس ، كتاب مقدس ... الخ.

قد نضطر إلى ذلك من ناحية الدراسة " العلمية " ، ولكن في مجال التعليم الكنسي – والذي هو كما قلنا تسليم الحياة في المسيح – فإن تقسيما مثل ذلك يكون في منتهي الخطورة وبعيداً تماماً عن الحياة الأرثوذكسية.

نحن إذن لا ندرس مواد دراسية subjects ، إذ أن هذا التقسيم كما قلنا هو النتيجة الطبيعية لفصل اللاهوت عن الحياة ، والممارسة عن الاختبار ، وعندئذ تنزوي الديانة في ركن من أركان عقل الإنسان مع غيرها من العلوم ... وهذا في منتهي الخطورة.

* **إذا انفصل اللاهوت عن العقيدة ، اصبح مادة مدرسية جافة لا حياة فيها ، وإذا انفصلت العقيدة عن الليتورجية والطقس ، تحولت إلى رياضة عقلية مجهدة للذهن ، وتحول الطقس إلى مجرد حركات مسرحية خارجية ، لا تحمل أي معني ، وإذا انفصل اللاهوت والعقيدة عن التاريخ وحياة الآباء تحولت العقيدة إلى أساطير في عصر لايؤمن بالخرافات ، وتحول تاريخ الكنيسة إلى قصص مسلية لا أكثر** ، لا لزوم لها ولكن أنظر أخي الخادم – إلى التعليم الأرثوذكسي كيف يكون:

الحقيقية اللاهوتية مقدمة كإعلان من الله لحياة الإنسان – مدون في تاريخ الكنيسة برهان قوتها وصدقها للحياة والاختبار – مصورة في حياة الآباء القديسين – تلمذة ونسك وجهاد روحي – محفوظة في المجامع وقوانين الكنيسة مصوغة صياغة دقيقة للحفظ والتأمل – مفتوح لنا المجال للدخول إليها وتذوقها خلال أسرار الكنيسة وحياتها الليتورجية – ونحن مدعوون للمساهمة فيها والزيادة في خبرة الكنيسة خلال حياتنا الروحية وتلمذتنا وعضويتنا في الجسد الواحد مقدمين شهادة حية بالخدمة والكرازة.

* التعليم الأرثوذكسي إذن حياة متكاملة ، وليس ابعاداً منفصلة. صحيح اننا قد نتحدث بالذات عن تاريخ الكنيسة مثلاً ، ولكن يبقي في النهاية ربطه ووضعه في مكانه من هذه الحلقة ربطا محكما أساسيا كبعد حي من أبعاد حياة الكنيسة.

* نحتاج أن نبذل جهدا لكي نعي كل حركة طقسية : معناها وبعدها اللاهوتي ، لندرك أن يد الله تصنع تاريخ شعبه وكنيسته ، لنتفرس في حياة الآباء ونحيا اختباراتهم الغنية بالنعمة.

سوف يتضح الكلام أكثر في هذه الناحية عند الحديث عن تحضير الدرس في الفصل الأخير من الكتاب.

* في النهاية نحتاج في تعليمنا الكنسي إلى الهدف الواضح والخطة المحددة ، بنظرة شاملة ، نضع أمامنا هدف بناء الفرد داخل الجماعة منذ أن تتسلم الكنيسة حياته ، نحتاج أن تتكامل الخدمات التعليمية في الكنيسة بخطة واحدة لنعطي كل إنسان حسب احتياجه تبعا لظروف حياته ، قامته ، وسنة.

*لا يكفي خدام مدارس الأحد ، أن يلموا بالنواحي النفسية والاجتماعية والفكرية لمن يخدمونهم ، ولكن لابد أيضاً من الخبرة الروحية ، لابد من معرفة النمو الروحي وفرادة الحياة الإنسانية ، فكل إنسان له مكان خاص في قلب المسيح ، وله اختباره الخاص ، ويحتاج إلى أن يتغذي حسب قامته داخل إطار حياة الكنيسة.

– وهنا نؤكد على الحاجة الفردية لكل نفس بشرية وتميزها عن غيرها ، وعلى مراعاة طاقة هذه النفس وإمكانياتها فليست الكنيسة قوالب يجب أن يتشكل فيها كل إنسان مسيحي وإنما كل نفس لها فرادتها واختبارها وطريقة التعامل معها.

فقد يشبع التسبيح إنساناً أو يشجيه الترنيم وقد يرتاح لتشجيع الناس له أو لزيارته والسؤال عنه وقد يكون اشتراكه في خدمة أو نادي أونشاط هو مدخله لاختبار الحب في الكنيسة والتعليم قد يصلح لآخر رحلة أو سماع عظة أو ... الخ . فكل نفس لها فرادتها وميولها ولا يمكن أبداً أن نفرض مسلكاً معيناً للحياة داخل الكنيسة فنحن نحفز عملية نمو لكل نفس حسبما أعطاها الله وشكل شخصيتها بصورة فريدة.

الشرط الوحيد أن يكون القائم على التعليم على وعي تام بالهدف من تعليمه وخدمته وهي الوصول بهذه النفس إلى حبيبها ومخلصها واضعا يد ذلك الإنسان في يد المسيح المخلص.

لذلك كله فان شخص المعلم على نفس القدر من الأهمية بل وأكثر من التعليم نفسه فنحن لا نستطيع أن نعلم ما لا نحياه .. وسنؤجل الحديث عن ((المعلم الكنسي)) أو ((الخادم)) إلى الجزء الثاني من هذا الكتاب ان أراد الرب.

*ويبقي أيضاً التناغم المطلوب ، بين معطيات علم النفس والتربية ، وبين التقليد الأرثوذكسي وطريقته في التعليم الكنسي بسماته التي تحدثنا عنها ، لكي يعيش كل إنسان الحياة الأرثوذكسية حسب السن والمرحلة التي يمر بها.

وأيضاً دور وسائل الايضاح والامكانيات العصرية المتاحة وكيفية توظيفها بطريقة أرثوذكسية ولاشك اننا نحتاج لجهود كثيرة في هذا المجال.

وذلك حديثنا في الكتاب القادم ان شاء الله ...

أخي الخادم المحبوب ...

ان المسئولية جد خطيرة ، مسئولية التعليم داخل الكنيسة ... أسمع ما يقوله القديس باسيلوس الكبير (من يفسر الكلمات الإلهية في الأسفار عليه أن يبدأ من نفس مستوي الذين كتبوا الأسفار ... وأقوال الروح القدس في الأسفار ليست سهلة لكي يتعرف كل واحد على دقة ومعاني كلمات الروح القدس ، فهذا لا يتوفر إلا للذين أعطاهم الروح القدس عطية التمييز).

ويقول القديس ايرونيموس محذرا (كبير هو خطر التكلم في الكنيسة ، لأن التفسير المنحرف يحول انجيل المسيح إلى انجيل إنساني).

* ان الذي يحمل بشارة المسيح معها قوة : قوة تغيير ، قوة الحياة الجديدة في حياته وأقواله . أليس لهذا السبب طلب رب المجد من تلاميذه ، ألا يبرحوا أورشليم أو يبدأوا الكرازة حتى يلبسوا قوة من الأعالي ، قوة الروح القدس الذي يسكن داخلهم.

قوة الروح القدس التي تؤازر عمل الخادم وخدمته هي رأس ماله الذي يعتمد عليه ، لهذا نصر على أن يكون خادم التربية الكنسية هو شماس المذبح الذي أفرزته الكنيسة بموهبة خاصة من الروح القدس داخل الكنيسة (أرجو الرجوع إلى طقس سيامة الأغنسطس).

ولهذا أيضاً نصر على أن تكون خادمة التربية الكنسية هي ابنة المسيح بعضويتها الحية في جسد وتكون الكنيسة وحياتها ، ويكون المذبح وابعاده في مكان القلب من حياتها وممارساتها.

الخدام والخدمات الذين يحسبون ضمن الشاروبيم والسيرافيم في تسابيحهم يختبرون قوة الخلاص المنسكبة في الكأس ، ويختبرون الحياة الجديدة في التسابيح والصلوات والممارسات ، تجري من بطونهم أنهار ماء حي يرتوي منها كل من يقترب اليهم.

* يجب ألا يغيب عن أذهاننا دوما أن إعلان الله هو لاجل حياتنا ، أننا مدعوون ليس لتكوين معرفة عن الله ، وإنما مدعوون إلى معرفة الله ، بالدخول في الشركة معه ، فإن اللاهوت الخارج عن الحياة هو لاهوت الشياطين ! اننا مدعوون أن نتكامل مع الكنيسة جسد المسيح الواحد بكل عضو فيها لقد أتي يسوع المسيح لا ليغذي فرديتنا وعزلتنا وانما ليوحدنا في نفسه لأنه أتي ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد ، ومن ثم نقدم شهادة للعالم كله بالمحبة التي فينا.

* في حياتنا الأرثوذكسية نحن لا نعيش على فتات تأملات روحية ، بعاطفة ملتهبة ، لفترة أو فترات ، ولكننا نتعلم ونفهم ونعيش بكل كياننا الحقيقية المقدمة لنا من الله .

خطير جداً أن يقوم التعليم على أساس قدرات المعلم الذهنية والنفسية والعاطفية ، ليقدم تأملاته الروحية ورياضاته الذهنية ، صحيح أن اختبار حياته هو برهان صدق وقوة دعوته ورسالته ولكنه يجب أن يعيش متحرراً من ذاته وقدراته ليقبل حياة المسيح جديدة مع اخوته في الكنيسة.

الهنا الصالح الذي وهبنا معرفته الحقيقية في ابنه يسوع المسيح ، قادر أن ينعم علينا باستنارة الروح القدس ، لندرك ما لأجله قد أدركنا المسيح ندرك مع القديسين ، كل القديسين ، ما هو عمق محبة الله لنا تلك التي أنعم بها علينا في المحبوب لنصل إلى ملء الفرح ، وملء المسيح.
يلي ذلك الحديث عن : تحضير الدرس الأرثوذكسي

ملحوظة

– لم نتحدث في نقطة منفصلة عن ((البعد الكتابي)) ، في التعليم لأننا نؤمن أن الكتاب المقدس يتخلل بصورة عملية كل نواحي حياتنا وعبادتنا وخدمتنا. يقول القديس أنطونيوس (ليكن لك في كل عمل دليلا من الكتاب المقدس) ، فدراسة الكتاب والشبع به هو حياة الكنيسة في مجال الوعي والفكر وكنيستنا الأرثوذكسية كنيسة انجيلية بالدرجة الأولى تفتح لكل نفس مجال الشبع بالكتاب وبالقراءة والتأمل ، وقد اتي حديثنا عن البعد الكتابي في التعليم خلال الحديث عن تحضير الدرس الأرثوذكسي فنرجوا الانتباه إليه أثناء قراءة الصفحات التالية :

تحضير الدرس الأرثوذكسي

المقصود بالدرس الذي يقوم الخادم بتحضيره ، هو الوجبة المجهزة بدقة والمستخلصة من حياة الخادم واختباراته ، صلواته ودموعه ، قراءته ومعرفته ، يقدمها بنعمة الرب مغذية ومشبعة لاخوته حسب احتياجهم. ويجب على الخادم أن يبدأ تحضيره من أول الأسبوع لجهز نفسه بالتوبة والصلاة لخدمته القادمة وقد يختلف شكل الدرس من خادم لآخر ، ولكن هناك عناصر أساسية لابد أن يشتمل عليها الدرس عند تحضيره نتحدث عنها في شيء من التفضيل.
نتصور أن يحتوي الدرس على العناصر الآتية :

١- تاريخ الخدمة
٢- هدف الدرس
٣-الشاهد الكتابي
٤- مراجع الدرس
٥- تأملات الخادم
٦- عرض الدرس
٧- تدريب الدرس
٨- النشاط المصاحب

وتقسيم العناصر إلى مجموعتين بهذا الشكل تقسيم مقصود ، فالعناصر الخمسة الأولى تختص بالبعد الداخلي في حياة الخادم لتحضير الدرس ، حياته مع الله ومع الكنيسة ،دراسته ، توبتـــه واختبـــاره. وتمثل العناصر الثلاثة الأخيرة البعد الخارجي لتحضير الدرس ، أي علاقته بالأخوة المخـــدومين ، ووجبتهم المجهزة من العناصر الأولي.

١- تاريخ الخدمة :

هناك فائدة محدودة وسريعة للتاريخ وهي أن يعرف الخادم الدرس المختار حسب ما هو موزع فـــي برنامج الخدمة.

ولكن يوجد بعد آخر مهم جداً خاص بالتاريخ القبطي عند تحضير الدرس نلخصه في الآتي:

* معرفة التاريخ القبطي ، يليها بحث الخادم في السنكسار وكتب الكنيـــسة عـــن قـــديس اليـــوم أو المناسبة الليتورجية التي تعيشها الكنيسة في ذلك اليوم.

ويكتب كل ذلك أمام التاريخ في كشكول التحضير.

* يبدأ الخادم بدارسة كتب البيعة والصلوات ، وماتصل إليه يداه من كتب تتعلق بحيـــاة القـــديس أو المناسبة الليتورجية.

* قديس اليوم بالنسبة للخادم ، يمثل عضوا حيا في جسد المسيح ، الذي هو الكنيـــسة. ولا يكتمـــل التعليم أو الاختبار والبرهان على صدق وقوة وعود الله لنا ، إلا بالتعرف على قوة عمـــل الـــروح القدس في حياة آبائنا.

* ويجب على الخادم أن يتعرف على هذا القديس ويكون معه صداقة روحية فهو شـــخص حـــي ، يشبع الخادم من سيرته وحياته وتعاليمه ثم يقدم كل ما استوعبه وتذوقه لأخوته المخدومين.

* يتعرف الخادم على احتفال الكنيسة بالقديس أو المناسبة الليتورجية ، طقـــس الاحتفـــال ومعنـــاه اللاهوتي والصلوات التي نصليها فيه (عيد سيدي – صوم ... الخ). ويهيء نفـــسه للمـــشاركة ، ويشترك فيها مع أخوته ليدخلوا جميعا إلى حياة الشركة في الكنيسة.

* يجهز الخادم الأيقونة الخاصة أو الرسم التوضيحي ، والترتيلة أو اللحن أو المديحة ، لعمل تمجيد للقديس أمام الأيقونة أثناء الخدمة أو بعدها ، ذلك كله يجعل حياتنا مبهجة وحياة عملية في المـــسيح يسوع.

* وهكذا يتعلم الخادم يوماً فيوما مع اخوته ، كيف يدخل إلى حياة الكنيسة وقديسيها ، فتمتلئ حياته وحياة أخوته بحياة القديسين وسيرهم ، فينعكس ذلك ، بالقطع على خدمته وتعليمه وشهادته.

* وهكذا يستوعب الخادم مع أخوته بسهولة نظام الدورات الليتورجية داخل الكنيسة وكذا احتفالاتها وطقوسها المختلفة.

٢ – هدف الدرس:

أي درس من دروس الخدمة له بعدان أساسيان من حيث الهدف ، يجب أن يكونا في منتهي الدقة والوضوح أمام الخادم ... وهما يتساويان في الأهمية ولا يمكن أبداً اغفال أحدهما :
البعد اللاهوتي : البعد العملي أوالتطبيقي

*** البعد اللاهوتي:**

اتفقنا على أننا – في تعليمنا الأرثوذكسي في مدارس الأحد والاجتماعات الروحية – نقدم تعليما لاهوتيا. كما نقدم فرصة للاختبار الروحي ، مبنية على أسس حقيقية لاهوتية ، معلنة لنا من الله.
أ- البعد اللاهوتي للدرس نقصد به علاقة هذا الدرس بحياة رب المجد وخلاصه تأسيسا على التجسد الإلهي وشركتنا في الثالوث المقدس.
ب – النعمة التي يقدمها لنا الله الآب في ابنه يسوع المسيح ، ليست فقط كتأمل روحي وإنما حقيقة لاهوتية نقبلها بالإيمان وندخل إليها بإمكانات الروح القدس نفسه ، فوق مستوي الحواس والعقل والعواطف.

٢- البعد العلمي أو التطبيقي :

بمعني ، كيف للاخوة المخدومين (حسب سنهم وظروفهم النفسية والعلمية ... الخ). كيف يمكن لهم أن يعيشوا هذه الحقيقة اللاهوتية ، بحيث يكون ما يحصلون عليه ويكتسبونه هو الحل والإجابة على كل مشكلة وكل تساؤل في حياتهم.
(سنعطي أمثلة للتوضيح) :
واضح إذن أن البعد اللاهوتي للدرس هوهو لا يتغير في أي مستوي يقوم فيه الخادم بنشاطه – بدءا من خدمة أطفال الحضانة إلى خدمة الكبار ، لأن إعلان الله هو هو ، فنعمة العهد الجديد لا تتغير وهي التي ندخل بها إلى شركة حقيقية في الثالوث القدوس.
* الذي يتغير حسب المرحلة التي يؤدي فيها الخادم عمله والمستوي الذي يتعامل معه ، هو البعد العملي، وهذا ولا شك يحتاج إلى جهد كبير من الخادم ليكون قريبا من اخوته من حيث أعمارهم ونفسياتهم ومشكلاتهم واحتياجاتهم.
ويحتاج أيضاً إلى جهد روحي ليقدم ببساطة ، بحكمة سمائية ، الحقيقة اللاهوتية بما يتناسب مع كل منهم.
* هنا لاهوت الحياة الذي تحدثنا عنه ... هنا تدون الفضيلة والالتزام الروحي والحديث عنهما ، ليس مجرد تعليم اخلاق ، وانما ثمرة من ثمار اتحادنا بالمسيح ، وتكون الحياة والفضيلة هي التعبير

العملي عن التغيير الذي يحدثه الروح القدس في طبيعتنا ، وأيضاً الوسيلة لتحقيق هذا التغيير بقوة المسيح.

برهان شركتنا في الثالوث ، وأيضاً وسيلة تمتعنا بإمكانيات الروح القدس بصورة أعمق ، يدخلنا إليهما جهادنا الأمين ، وأمانتنا النابعة من داخلنا.

* هذان البعدان لابد أن يكونا واضحين في عقل وقلب الخادم قبل أي شيء آخر ولكن ليس معنى هذا أن ينقسم الدرس إلى قسمين أحدهما لاهوتي والآخر عملي ، ولكنها كما قلنا وجبة واحدة تظهر فيها النعمة المعطاة للخادم ، ليست المهارة الفكرية وانما الروحية ، حينما يطلب من الله باتضاع قلب أن يشبع اخوته ويشبعه بالدرس الذي يحضره.

مثال :

العطاء (اسم الدرس).

١ – البعد اللاهوتي :

العطاء التزام العضوية في الجسد الواحد ... نحن في المعمودية صرنا أعضاء في جسد واحد الذي هو الكنيسة – جسد المسيح – يسكب الروح القدس محبة الله في قلوبنا فنحس باحتياجات بعضنا البعض ونعبر في هذا الحب وهذه الوحدانية بسد أعواز الجسد.

البعد العملي:

كيف يمكنني كطالب في الصف الأول الثانوي مثلا أن أحيا هذا المفهوم خلال حياتي الدراسية : (مساعدة زملائي) ، مصروفي (عشوري) خدمة المنزل وقضاء احتياجاته وتكريس عواطفي وطاقاتي لخدمة المسيح بدلا من الانحصار في ذاتي والاستمتاع بها فتتغلب على العادات الردئية واثارات الجسد ... الخ.

وهكذا نوظف بطريقة عملية المفهوم اللاهوتي في حياة أخوتنا المخدومين ، مستعينين بكل معطيات التربية وعلم النفس الحديث ، لنتعرف على احتياجات المرحلة ومشكلاتها ، وكيف تكون الحياة اللاهوتية المسيحية حلا لكل هذه المشكلات.

وأرجو أخي الخادم أن نقف الآن لنقارن بين إنسان اكتشف أنه غير قادر على العطاء. بسبب نقص محبته لاخوته ، وانحصاره في نفسه ، فيقف تائبا يصلي ويطلب انسكاب محبة الروح القدس في قلبه ، ويسارع إلى المذبح ليتقرب من سر الوحدة ، ليثبت في حياة الشركة. كل ذلك وهو يدرب نفسه على العطاء بصوره المختلفة ، بجهاد روحي أمين (وهذا هو المنهج الأرثوذكسي في التعليم والحياة) ... وبين انسان آخر لا يعطي لأنه مازال لا يحس بالشركة ، فيحاول أن يعطي بطريقة مفتعلة ، فيخور لأنه يعز عليه ماله جداً ، أو لأن طاقته النفسية والعاطفية لا تحتمل هذا الازدواج

فينصرف عن العطاء لأنه لا يستطيع ، أو أنه يعطي بدوافع نفسية كتحقيق الذات أو شيطانية كاكتساب المديح ...
وإنسان ثالث تعود على العطاء منذ صغره وأحس أنه من الواجب أن (يعطف على الفقراء) ، لأنه يمتلك كثيراً ، والفقير لا يملك شيئاً ، وكيف أن الاحسان يولد فيه احساسا بالرضي النفسي لأنه يعطف على المحتاج وربما يكون احساساً بالتعالي والطبقية.
أي من هؤلاء الثلاثة يعيش الحياة في المسيح والشركة مع الثالوث ؟
* أنظر أيضاً – أخي الخادم – وقد خرج مفهوم العطاء من إطار التكافل الإجتماعي والعطف على المساكين وزكاة الأموال ... (وزارة الشئون الإجتماعية) ، إلى اتساع مفهوم العضوية في جسد المسيح ، والتزامها ، كتعبير عن الحياة الجديدة ، كما عاشها واختبرها الآباء الرسل وعبر عنها الانجيل (أنظر سفر الأعمال).
* انظر كيف يوحد المفهوم اللاهوتي السليم بين جهاد الإنسان وتغصبه وبين إدراكه لمصدر القوة الروحية ، واتكاله على نعمة الروح القدس خلال مثابرته في الجهاد بفرح وثقة في عمل الروح ... وهكذا في كل درس.
ونعود فنؤكد أنه لا يوجد درس بدون بعد لاهوتي ، والا يكون كلاما للتسلية ، أو تنظيماً لحياتنا الإجتماعية حسب قواعد الذوق والإيتيكيت ... وليس حياة في المسيح.
* وطبعاً من حق الخادم أن يكون البعد اللاهوتي واضحا في البرنامج المعطي له ، كما أنه يكون مقصرا إذا لم يبحث ويدرس ويفتش ، ويعيش هذا المفهوم ، حتى إذا لم يكن جاهزا في برنامج خدمته ... لأنه من الواضح أن الأمر يتعلق بحياة الخادم وجهاده القانوني وليس فقط بالخدمة وتحضير الدرس ، والرب سخي في عطائه ، ولا يبخل على خدامه حينما يطلبون العون والارشاد.

٣- الشاهد الكتابي:

هذه النقطة تحتاج إلى حديث طويل عن الكتاب المقدس في حياتنا الأرثوذكسية وحياة الآباء والكنيسة (ولنا عودة أخري إن شاء الله) ، ولكن:
* أي درس لابد أن يكون له فصل مناسب من الانجيل.
* وعلى الخادم أن يستخرج هذا الفصل في بداية تحضير الدرس ، مكررا قراءته طوال الأسبوع بروح الصلاة ، للدراسة والحفظ ، والتأمل للشبع.
تكرار القراءة مع الصلاة يدخل الخادم لقوة الإنجيل ، ويعطيه فرصة الإختبار الروحي ، وتنفيذها ، خلال تدريباته وحياته وخلال حفظ مقاطع وآيات عديدة أو حتي الفصل كله.

* وبأمانة كاملة ، إذا أهتم الخادم بهذه الناحية سيجد شبعاً كاملاً ، وسيجد درسه أيضاً مشبعا لاخوته ، محمولا على كلام الانجيل ، قوته وفعله ، مؤيدا كلامه بالآيات ، ومحفوظا في وقار الانجيل حتى أثناء القاء الدرس.

* هذا الفصل يقرأه الخادم مع أخوته المخدومين قبل أو أثناء الدرس ، ولهذه العادة فوائد كثيرة :

١- ربط الأخوة المخدومين بالانجيل ، وتعويدهم على القراءة والتأمل والبحث عن احتياجات حياتهم داخله ، فيتعلمون كيف يجدون غذاءهم بأنفسهم في كلام الكتاب ، سيما وقــراءة الخــادم ســتكون مرتبطة بشرح وتفاسير الآباء ، ولابد من التطبيق على موضوع الدرس ، والذي هو فــي الأصــل يعالج مشكلة من حياتهم أو احتياج خاص بهم.

٢- إلغاء الاحساس بالانفصال بين حياة الكنيسة الليتورجية وبين الإنجيل ، بل على العكــس علــى الخادم توضيح أن الليتورجية هي الانجيل العملي ، وأن الانجيل هو الليتورجية الدائمة لنا أي حيــاة المسيح المقدمة لنا.

كما يوضح أن الفهم الصحيح للانجيل ينبع من حياة الكنيسة وقديسيها وطقوسها وليتورجياتها.

طبعاً ذلك يحتاج لخادم حي في الاثنين معاً: الانجيل والليتورجية.

٣- قراءة الخادم الصحيحة للفصل المختار ، بوقار وروح الصلاة ، سوف تؤثر في أخوته جــداً ، وتجعلهم يحسون بالانجيل وحلاوته ، ويتعلمون كيف يقرأون وأرجو ألا نستهين بهذه النقطة.

٤- القراءة في وقار تضبط أفكار الخادم وكلماته وأسلوبه أثناء الدروس ، في روح الانجيل كلمــة الله.

* ومن الأفضل أن تكون هناك أناجيل توزع على الأخوة المخدومين ، ليتابعوا مع الخادم القراءة ، أو يجيبوا معاً على سؤال يطرحه الخادم من واقع آيات الانجيل .

وعليه أن يوجههم أو يجيب معهم على أي تساؤل من أحدهم من واقع الجزء الذي يقرأونه معــاً ... وهكذا يصبح الانجيل معروفاً بآياته وأسفاره ومعانيه وروحه ، في حياته وحياة أخوته المخدومين ، ويثبت أيضاً فهمهم لعقيدتهم السليمة.

٤- مراجع الدورس:

* اتفقنا اننا نقدم تعليما لاهوتيا ليتورجيا متكاملا مع حياة الكنيسة ، ينبع منها ليصب فيها وذلك لبناء حياة الانسان ، واختبار الشركة مع المسيح.

* فالخادم إذن لا يبتكر أو يخترع تعليما جديداً ، وإنما هو يقدم التعليم حسب خبرة الآباء وتفسيرات الكنيسة وحياتها الليتورجية.

* من هنا لا غني للخادم عن كتب التفاسير الآبائية للكتاب المقدس.

* كتابات الآباء اللاهوتيين العظام في شرح الإيمان والعقيدة.

* كتب تاريخ الكنيسة وسير القديسين.

* كتب الخدمات الطقسية والصلوات الليتورجية ، لاستخراج الكنوز التي تحتويها صلوات الكنيسة لندرك غني كنيستنا وعمقها واصالتها اللاهوتية.

* ثم كتب الآباء المعاصرين للاستفادة من خبراتهم ، وربط الحقائق اللاهوتية باحتياجات الإنسان المعاصر.

* ولا مانع طبعاً بل هو مطلوب أن يستعين الخادم بكتب أخري في شتي فروع العلم والمعرفة المختلفة ، حسبما يحتاج إليه الموضوع المطلوب.

*هنا يجب أن يكون الخادم آبائيا في فكره وروحه وحياته وهذا يحتاج للقراءة المستمرة والاحتكاك الشديد بحياة الآباء ... ولكن يجب ألا يتسرع الخادم في هذه الناحية ويكون مجرد ناقل لبعض عبارات آبائية من هنا أو هناك .. إنما يتأني الشبع ، بحياته وجهاده وتوبته وقانونه الروحي وتلمذته، يختبر ويتذوق كما عاش الآباء.

* أي أنه لا يكفي مجرد القراءة في أقوال الآباء ليصبح الإنسان آبائيا ، انما لابد من الشبع والحياة والممارسة والاختبار ، فلابد وأن يكون الخادم أثناء إعداده قد بني حياته وتتلمذ على فكر الآباء وحياتهم.

ليس معني هذا أن يحجم الخادم الذي لم ينل قسطا وفيراً في اعداده من ناحية هذا الجانب الآبائي ، ولكن عليه أن يعيش بروح الصلاة واختبار الحياة الجديدة في المسيح ، وتتلمذا على فكر الآباء وروحهم ، فهذا كاف جداً للدخول في اختبارهم.

* لا مانع طبعاً أن يستعين الخادم بمقاطع من صلوات الكنيسة وأقوال الآباء ، إذا كانت تؤدي الغرض المطلوب في بساطة ويسر.

٥- تأملات الخادم:

ليس كل ما يقرأه الخادم أو يجمعه حول موضوع الدرس يصلح لأن يقوله لأخوته ، لذلك عليه أن يقوم بتسجيل هذا المحصول اللاهوتي الآبائي الكنسي ويحتفظ به ، ذخيرة حية لحياته.

* وهكذا يكون تحضير الدرس فرصة أسبوعية جديدة للخادم للدراسة والشبع والاختبار ، ليزداد يوماً فيوما ويتعمق بناؤه اللاهوتي والروحي.

* بذلك يتساوي كل الخدام في استفادتهم من التحضير أيا كان سن المخدومين ومستواهم فلا يظل الخادم محصوراً في مستوي الأطفال مثلا ، طالما هو يخدم أطفالا ، ولكن باستمرار يكون نامياً دارسا مختبرا – من خلال تأملاته في الدرس لحياته الخاصة.

* من الممكن أيضاً أن يكون هذا المحصول مجالا للمناقشة والدراسة و الحوار بين الخادم وأخوته وأمين خدمته ، لنمو الجميع وشبعهم.

* إلى هنا يكون التحضير خاصا بالخادم نفسه وحياته ، توبته وتداريبه ، اختباراته وشبعه ، ثم يبدأ يفكر ماذا سوف يقدم لأخوته.

* ويذكر أخوته المخدومين بأسمائهم أمامه ، ويرفع قلبه بالصلاة ليرشده الروح القدس : ماذا يقدم لهم من هذا كله.

٦- عرض الدرس:

* المقصود هو الجزء من التحضير الذي سيقدمه الخادم لأخوته المخدومين ، حسب احتياجات سني حياتهم.

* واضح أن هذا جزء صغير من التحضير كله ... أنه الوجبة الناضجة المجهزة بكل عناية لأجل شبع أخوته.

* ومن الناحية التربوية يعتبر هذا الجزء من الأجزاء الصعبة التي تحتاج لتدريب ومتابعة للخادم من مسئول خدمته.

*ومن الناحية التربوية – خاصة في المرحلة الثانوية ، يستحسن عرض الدرس بأن يبدأ الخادم . بطرح سؤال أو عرض قضية معينة ، تكون مجال تساؤل في حياتهم ، ثم يدخل الخادم إلى الدرس من خلالها وبذا يكون الدرس أكثر تشويقاً وسهولة واستيعابا.

* من الممكن أن يحدد الخادم ثلاثة أو أربعة عناصر أمامه قبل كتابة الدرس ، ولا مانع من كتابة هذه العناصر أمام الأخوة المخدومين على سبورة مثلاً أو بعرضها عليهم قبل القاء الدرس وبداية المناقشة.

* لغة الحوار والمشاركة مهمة جداً وخصوصاً مع شباب المرحلة الثانوية.

* في النهاية لابد أن يركز الخادم أثناء الدرس عل ابراز شخص المسيح الفادي بحركة توبة داخلية يشتاق معها الكل إلى الوقوف للصلاة وتقديم الشكر لله.

٧- تدريب الدرس:

يجب أن نكون عمليين في كلامنا وتعليمنا ، وأن نساعد الأخوة المخدومين على اختبار الحقيقة اللاهوتية المقدمة لهم ، وذلك بتقديم وسيلة أو وسائل للدخول إليها واختبارها وقبولها من الرب يسوع نفسه بالروح القدس. وطبعاً سيختلف التدريب باختلاف المرحلة.

* من الممكن أن يكون هناك بجانب التدريب العام ، تدريب آخر على مستوي احتياج كل نفس أن أمكن ، ولكن بطريقة عامة لا تدخل في نطاق عمل أب الاعتراف.

* تدريب عملي وسهل وبسيط ، المقصود منه تشجيع الأخوة على الجهاد الروحي واختبار عمل الله والاتصال الشخصي والمباشر بالرب يسوع.

* ولكن بصفة عامة يمكن التعرف على احتياجات الأخوة المخدومين عن طريق :

١- الصلاة : باستمرار بغيرة وأمانة ، ليعطي الروح القدس بصيرة روحية واستنارة للخادم ، فالصلاة تصهر قلبه مع قلوب أخوته في قلب المسيح ، فيتعرف بالحب على احتياجات نفوسهم.
٢- صلاة المحبة والصداقة : يكون احتكاك الخادم بأخوته في الفصل والأنشطة المختلفة مزينا بالاتضاع والبساطة وبغير تكلف ولا اصطناع.
٣- العلاقات الفردية والزيارات الخاصة بالحب الحقيقي للصلاة وقراءة الانجيل وانفتاح القلب.
٤- دراسة الخصائص النفسية المميزة لكل مرحلة ، وخاصة المرحلة التي يقوم فيها الخادم بالخدمة للتعرف على احتياجات أخوته ومشكلاتهم.
٥-التمذة الروحية المستمرة للخادم ، يستنير الخادم بخبرة من سبقوه ، سواء أخوته الخدام أو أمين خدمته. أو أبيه الكاهن.

* ينحصر الخادم داخليا وخارجياً في خدمة أخوته يحبهم ويذكرهم أمام الله بأسمائهم في الصلاة.

* بذلك يتفهم الخادم احتياجات أخوته ويحقق شبعهم مجيبا على تساؤلاتهم ، مفرحا قلبهم بمسيحهم وكنيستهم.

٨- النشاط المصاحب:

الخادم الأمين يحمل أخوته في قلبه باستمرار بكل الحب والاهتمام ، يعرف كل واحد باسمه ويعرف احتياجاته ، يعرف مواهبه وإمكانياته ، ويوجه كل واحد منهم إلى ما يساعد على نضج شخصيته واثرائها ، ينمي مواهبهم في المسيح يسوع ويساعدهم على اكتشاف عطية الله لهم.

يتم ذلك خلال أنشطة مصاحبة للدرس خاصة في أوقات الإجازات وهي كثيرة . منها استخراج آيات ، قراءة كتاب معين ودراسته ، رسم خرائط أو صور عمل تصميمات ونماذج مجسمة ، تنظيف الكنيسة والمعمودية والأيقونات – عمل القربان.

وقد يكون نشاطاً عمليا مثل زيارة المستشفيات والملاجيء ومساعدة المحتاجين ... الخ.

وهكذا يدخل الخادم بأخوته إلى ليتورجية الحياة التي تحدثنا عنها.

في النهاية نقول أن الخادم هو رأس مال الخدمة مهما وضعنا من طرق أو تحدثنا عن أساليب يبقي ايمان الخادم وحياته وقوة اختباره واحساسه بالضرورة الموضوعة عليه هو المحرك الأول والأخير للعمل كله.

نطلب من رب المجد أن يعطينا أن نحيا بكل أمانة على مستوي حياتنا وعلى مستوي شهادتنا أيضاً.

له المجد والكرامة إلى الأبد آمين